يا هذا إن عينَ الحكومة ناظرةٌ إليك ، ويَدَ الادارة لا بدَّ قابضةٌ عليك وستقرنُ بك فى موقفِ المجرمين، لتنال جزاءك العادل ، وعقابك الصارم ، وسيزج بك فى السجون ، لتذوق العذابَ الهُون ، وما تُجزَوْن إلا ما كنتم تعملون

يا هـذا إن كانت عقوبة الدنيا حقيرةً فى نظرك ، لا ترْعوِى بها عن غيِّك فاعلم أن الله مُحَاسِبُك وسائلُكَ ، عن عُمرك فيم أفنيتَ ، وشبابك فيم أبْلَيْتَ، ومالِكَ فيم أنفقت ، فبماذا تجيبُ ياحشاش بإشمام ، وعلى كلِّ ذلك جَنَيْت ، وفى سبيلِها أسرفت الحسابُ عسير ، والموقف رهيب، واللسانُ معقود لا يجيب، هذا إن كنت باليوم الآخرِ مؤمنا، فان كنت بالله ملْحِداً ، وبالجزاء كافرا ، فانتظر حتى يأتيك الحقُّ اليقين، وترى بعينِك عذاب الجحيم، فتقول : ياليتنا نُرَدُّ ولا نُكذِّبَ بآياتِ ربِّنا ونكونَ من المؤمنين، بَلْ بَدَا لَهُمْ ما كانوا يُخْفُونَ من قبلُ ولو رُدُّوا لعادُوا لما نُهُوا عنه وإنَّهم لكاذبون ، وقالوا : إن هى إلا حياتُنا الدنيا وما نحن بمبعوثين، ولو ترى إذ وُقفوا على ربهم قال: أليس هذا بالحق قالوا : بلى وربِّنا قال : فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون

روى أحمد وأبو داود عن أمِّ سلمة رضى الله عنها قالت : نهى رسول الله ﷺ عن كلِّ مُسْكِرٍ ومُفْتِرٍ

وروى أحمد وابن ماجه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لا ضرر ولا ضرار

١

خطب عصرية

آثار المساجد فى إصلاح الامة (١)

الحمد لله يَجزِى كلَّ امرئٍ بما عمِل، فمن عمِل صالحاً فله جزاء الحُسْنَى ، ومن عمِل سَيِّئاً فله سوء العُقْبى « وأنْ ليسَ للإنسانِ إلاّ ماسَعَى ، وأن سعْيَه سوف

(١) ألقيت هذه الخطبة فى افتتاح معالى وزير الأوقاف لجامع الخازندارة بشبرا مصر فى يوم الجمعة ٨ شعبان سنة ١٣٤٥ هـ الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٢٧ م — ويعد ذلك الجامع من أهم جوامع القاهرة نظاما وموقعا واتساعا

يَرَى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى، أشهد أن لا إله إلا الله يَعْلَمُ نفوساً طيبةً طاهرةً ، مخلصةً صادقة ، أنفقت مالها فى سبيلِ دينِه ، وإظهار شعائرِه، وإعلاءِ كلمتِه « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ، ويعلم نفوساً أخرى، غرتها زخارف الدنيا ،حتى ألهتها عن الأخرى ، فأنفقت مالها فى سبيل المظاهرِ الكاذبة ، والدعاوى الباطلة، أولئك حزبُ الشيطانِ ألا إن حزبَ الشيطانِ هم الخاسرون » وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أسوتُنا فى مكارمِ الأخلاق ، قدوتُنا فى صالحِ الأعمال، سبَّاقُنا إلى الخيرات، فصلوات الله وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه الذين رَوَوْا من عِلمِه، واستَنُّوا به فى عَمَلِه « جزاهم الله أحسن ما كانوا يعملون »

« أما بَعْدُ » فان من أبَرِّ الأعمال ، وأعظمِها منزلةً عند الله بناءَ المساجد وتعميرَ بيوتِ « أذِنَ الله أن تُرْفَعَ ويذكَرَ فيها اسمُه يُسَبِّحُ له فيها بالغدوِّ والآصال رجالٌ لا تُلْهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر الله وإقامِ الصَّلاَةِ وإيتاءِ الزكاة يخافون يوماً تَتَقَلَّبُ فيه القلوبُ والأبصار، ليجزيَهُمُ اللهُ أحسنَ ما عمِلوا ويزيدَهم من فضله والله يرْزُقُ من يشاء بغيرِ حساب » كيف لا تكونُ المساجدُ خيرَ ما يُبنى ؟ وفيها تقام الصلاةُ التي هي عمادُ الدين ، من أقامها أقامَه ، ومن هدمَها هدَمَهُ ، الصلاةُ التى حَسِبَ الجاهلون أنها حركاتٌ رياضيَّة ، لاصلةَ لها بالأخلاقِ ،وسياسةِ السكون ، وما دَرَوْا أن بالصلاة توثيق العَلاقات بين أهلِ السماء وأهلِ الأرض، وتوثيقَ العلاقات بين المخلوقين وأحكمِ الحاكمين ، إن مصر لتسعى جُهْدَها فى توثيق العلاقات بينها وبين الدول الأجنبية لتأمَنَ شرَّها ، وتَسْتَجْلِبَ خيرَها ، فهل تِلْكُمُ الدولُ أعظمُ خطرا ، وأعزُّ جُنْدًا من دولةِ السماء التي على رأسِها ربُّ العالمين، وأعدلُ الحاكمين الذى له جنود السموات والأرضِ ، الذى بيده ملكوت كلِّ شئ ، الذى إذا أراد أمرًا فانَّما يقولُ له : كُنْ فيكونُ ، فاذا كنا ننفقُ الكثيرَ من أموالِنا فى سبيلِ توثيق العلاقات ، وإقامة المؤتمرات، فَهلاَّ ننفقُ القليلَ من وقتنا فى القيامِ بصلوات نُوَثِّقُ بها الروابط بيننا وبين ربِّنا وخالقِنا ، فيمدُّنا بجنده الذى لا يُغْلَب ، وجيشِه الذى لا يُقْهَر « ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصرُه إن الله لقويٌّ عزيز، الذينَ إنْ مكنّاهم

obeikandi.com

فى الأرضِ أقاموا الصَّلاَةَ وآتَوُا الزكاة وأَمَرُوا بالمعروف ونَهَوْا عن المنكر ولله عاقبة الأمور »

إن الرسولَ ﷺ لما أن آذاه قومُه فى سبيل الدعوة ، ولم يَرَ فى مكة جَوّا صالحاً لِتَتِمّ له الكلمةُ ، هاجر منها إلى المدينةِ حيث الأنصارُ الذين « يحبون من هاجَرَ إليهم ولا يجدون فى صدورِهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسِهم ولو كان بهم خَصَاصةٌ » فلما أن وصل إلى قُباءَ أولِ ضاحية من ضَوَاحى المدينة، مكانَتُها من المدينة مكانةُ شَبْرا من القاهرة كان أولُ عملٍ قامَ به بناءَ مسجد قُباء الذى يقول الله فيه « لمسجدٌ أُسِّسَ على التقوى من أوّلِ يومٍ أحقُّ أن تقومَ فيه ، فيه رجالٌ يُحِبُّون أن يتطهروا والله يحب المُطَّهِّرِين » وكان ﷺ يعملُ فيه بنفسِه، ولما أتمه تحوّل إلى المدينة فتلقاه أهلُها فرحين مستبشرين، وخرجَت ذواتُ الخدور يقلن :

أشرق البدرُ علينا واختفت منه البدور
مثلَ حُسْنِكَ ما رأينا قَطُّ يا وجهَ السرور

وكان أولَّ ماعمِله أن شرع فى إقامة مسجدِه المعروف ، وكان مكانه لغلامَيْن يتيمين فاشتراه منهما بخَمْسة جنيهات، ثم أخذ يَبْنى فيه مع أصحابه، وكان ﷺ ينقل الطوبَ والحجارة ويقول : اللهم لا عيش إلا عيشُ الآخرة ، فاغفر للأنصار والمهاجِرة »

فأنتم تَرَوْن أن أوّلَ أعمالِ الرسول ﷺ فى المدينة إقامةُ مسجدين فلم يبدأ بفتح المدارس أو إقامةِ المستشفيات ، أستغفر الله بل فتحَ المساجدَ وأقامَ المدارسَ و بنى المستشفيات، هل المساجدُ إلا مدارسُ تُكَوَّنُ فيها الأخلاق، وتُهَذَّبُ الأرواح ، وتلْقَى فيها الدروسُ العلمية والعملية ، ألستَ فى المساجدِ تسمعُ آياتِ الله تُتْلَى ، وتسمع الحِكَمَ العالية ، والنصائح الغالية، من كلامِ خاتَمِ النبيين ، وسيّدِ المرسلين ، و إن ذلك شِفاءٌ لما فى الصدور ، وهل مداواةُ الأجسامِ خير أم مداواةُ الأرواح ؟ إن المساجد بحق بيوتٌ للعبادة ، مدارس للتعليم الصحيح ، مستشفيات لأمراض النفوس

إن المدارسَ الأوّلية التى تَسْعَى الحكومةُ فى نشرِها جُهدَ الطاقة إنما تعَلِّم

obeikandi.com

الصبيان ، و إن المساجدَ يعلم فيها الصبيانُ والشبابُ والشيوخُ ، بل يُعَلَّم فيها النساء والرجالُ ، و إن أنواعَ المدارس الأخرى إنما تعلم بالأجر ، والمساجد فتحت أبوابَها لكم لا تتقاضى منكم على التعليم أجراً ولا ثمناً

فالمساجدُ فى الأمةِ تؤدِّى خدمةً عظيمةً لا تماثلُها خدمةٌ أخرى ، لو أن القائمين فيها ممن عرفوا الدينَ حقَّ معرفتِه، ودرسوا أصْلَيْه كتابَ اللهِ والسنَّة ، لو أنَّهم ممن خَبَرُوا الحياة وعرفوا شؤونَها، وكان لهم بجانب ذلك أرواحٌ طاهرةٌ وعقولٌ نيِّرة ، وحكمةٌ بالغة ، وعسى أن يكون ذلك قريباً « ربَّنا آتِنا من لدُنْكَ رحمةً وهَيِّئْ لنا مِنْ أمرنا رَشَداً »

روى البخارى ومسلم عن عثمانَ بنِ عفَّانَ قال : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « من بَنَى لله مَسْجِداً بنى الله له مثلَه فى الجنة »

٢

طريق الاستقلال الحقيق (١)

الحمدُ لله أمرَ بالاخلاصِ فى العمل ، ونهانا أن نقفَ مواقفَ الزّلل الحمدلله يرفعُ المخلصين إلى الدرجاتِ العالية ، ويأخذُ بالمنافقين إلى الدَّرَكاتِ السافلة، كلُّ امرئٍ بما كسبَ رهين ، أشهدُ أن لا إله إلا هو يعلمُ ما نُظْهِرُ وما نُبْطِن ، وما نُسِرُّ وما نُعْلِنُ ، يَعْلَمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخْفِى الصُّدور ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه رسولُه اتَّخَذَ الصَّراحة فى الحقِّ دِيْدَناً ، والتزامَ الصدقِ مَنْهَجاً ، فَتَمَنَّتْ له الكلمة على الطغاةِ الباغين ، المداهنين الخائنين ، فرجعوا بالخزى فى الدنيا ، والسعير فى الآخرة ، وهل نُجَازِى إلاَّ الكفورَ ، صلواتُ اللهِ وسلامُهُ على هادى الخلق ،وعَلَمِ الحق ، حبيبِنا وشفيعِنا، ورسولِنا و إمامِنا، محمدِ بن عبدالله وعلى آلِه وأصحابه والتابعين

(١) هذه الخطبة وست وعشرون بعدها قدمت لوزارة الأوقاف فى مسابقة عملتها فأقرتها

« أما بعد » فقد ملأنا الجوَّ نداء وصياحاً ، وبحقٍ كان نداؤنا ، وبالمشروع كان صياحُنا ولكن قلنا كثيراً ، وما فعلنا قليلا نطقَتْ ألسِنَتُنا ، وماتحركت قلوبُنا ، تحركت شفاهُنا ، وماسكنت للحقِّ نفوسُنا ، قلنا : فلتحى مِصْر ، وحياتها أن تكون خيراتُها لأبنائها ، لا للأجانب عنها ، أن تُرَوِّجُوا مصنوعاتها ، وتَشْتَرُوا من بضاعاتها ، حياتُها أن تُكبوا على تعلُّم الصناعات ، ولا تكونوا كَلاًّ على الدولِ الأجنبيات ، حياةُ مصرَ أن تقضوا على دُورِ الفساد ، أن تهدِّموا بيوت العهارة والبغاءِ ، أن تدُكّوا حاناتِ الخمرِ والقضاءِ على العقول ، أن تقفِلوا دورَ المقامرة وصَيْدِ الحمام ، أن تُقَوِّضوا أركانَ الظلمِ والاستبداد ، حياةُ مصرَ أن يكونَ أبناؤُها رجالاً كمَلَة ، حَسُنَتْ أخلاقهم ، وطابت سرائرُهم ، وأخلصت لله نفوسُهم ، أن تكون نساؤُها قانتاتٍ طائعات ، للغيب حافظات ، بعيداتٍ عن الريبة عفيفات ، أن يَكُنَّ في بيوتهن مثالَ العفةِ والطهارة ، والنظامِ والنظافةِ ، أن يَكُنَّ في الخارج — إن دعت الحاجةُ للخروج — بملابس الحِشْمَة والوقارِ لا يَتَبَخْتَرْنَ في المِشْية ، ولا يَتَرَنَّحْنَ بروائح الفتنة ، ولا يَلِنَّ وَيَخْضَعْنَ بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، فيطمعَ فيهن عبيدُ الشهوات ، والتجارُ بالأعراض ، قلنا فليَسْقُطْ خصومُنا ، ولكن أيسقطون بمحضِ كلامِنا ، أيسقطون وقد ملأنا بأموالِنا بُنُوكَهم ، وانهمكْنا فى شراءِ متاجرهم ، فى حينِ تركنا متاجرَ الوطنيين بائرة ، ودكاكينهم خاوية ، تركنا سلاحاً لا تُحَرِّمُهُ شرعةُ الانصاف ، أعني تفضيل البضائع الوطنية على البضائع الأجنبية ، سِلَاحٌ فى مكان كلِّ فردٍ أن يستعملَه وليس هناك عقوبةٌ على استعماله ، لا يَخْشَى منه موظَّفٌ على وظيفتِه ، ولا ذو مصلحةٍ على مصلحتِه ، سلاح ليس له من ثمنٍ إلا قوةُ النفس ، ومضاء العزيمة ، والثباتُ على المبدأ ، سلاحٌ أمضى فى نفوسِ الأعداء من حدِّ الحُسام ، وأسرعُ بهم إلى ما تُريدون من استقلالِكم المنشود وحقِّكم المغصوب ، تقولون : فليحىَ سَعْد ، وحياةُ سعدٍ أن يكون كلٌّ منكم سعداً لأمته ، سَعْدًا لجيرانه ، سَعْدًا لأقربائه ، سَعْدًا لزوجته وأولاده ، سعدا لإخوانِه وخلانِه ، وإنما إسعادهؤلاء بأن نحسن

معاملتهم ، ونُواسِىَ فقيرهم ، ونُطَبِّبَ مريضَهم ، ونُفَرِّجَ عن مكرو بهم

تقولون نحن مُسْلِمُون مُوَحِّدون ، ولكن ماالدليل على إسلامكم ؟ ما الدليل على توحيدكم ؟ وقد فُعِلَتْ كلُّ معصيةٍ ، وارتكِبَتْ كلُّ جريمةٍ ، بالرغم من وجود القرآن بينكم ، شاهداً على أعمالِكم ، ومن أن اللهَ مُطَّلِعٌ عليكم ، يعلمُ السرَّ وأخفى يا قوم تلك أقوالُكم الحسنة ، وهذى أعمالُكم المنكرة ، ياقوم ذلكم النفاقُ بعينه يا قوم لايجتمع فى قلب مؤمنٍ إيمانٌ ونفاق ، يا قوم (إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجدَ لهم نصيرا ، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينَهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجراً عظيماً)

روى ابن ماجه والحاكم عن أنس بن مالكٍ عن رسولِ الله ﷺ قال : من فارق الدنيا على الإخلاص للهِ وحدَه لاشريك له وأقامَ الصلاة وآتى الزكاة فارقها والله عنه راض

وروى البزار عن أبى سعيدٍ الخُدْرى عن النبى ﷺ أنه قال فى حجة الوداع : نَضَّرَ (١) الله امرأ سَمِع مقالتى فوعاها فرُبَّما حاملِ فقهٍ ليسَ بفقيه . ثلاث لايُغَلُّ (٢) عليهن قلبُ امرئٍ مؤمن ، إخلاصُ العملِ لله ، والمناصحةُ لأئمة المسلمين ، ولزومُ جماعتهم فان دعاءهم يحيطُ بهم من ورائهم — ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث زيد بن ثابت

٣

بعثة الرسول ﷺ والقرآن

تقال فى أوائل ربيع الأول

الحمد لله الذى أرسل رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدين كلّه ، أرسله

(١) نضره ونضره وأنضره أى نعمه (٢) لايغل من الاغلال وهى الخيانة فى كل شىء

بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، أرسله على حين فترةٍ (١) من الرسل كراهةَ أن يقولَ الناسُ ما جاءنا من بشيرٍ ولا نذيرٍ ، فقد جاءهم البشير النذير ، أشهدُ أن لا إله إلا هو هدانا النجدينِ ، و بين لنا الطريقين ، طريق الخير والشر ، فمن سلك الطريقَ المستقيمَ نجا ، ومن سلك طريق الشرّ ضل وغوى وسيجزى كلَّ امرئٍ بما كسب ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أنقذنا من الضلالة ، وسلك بنا طريقَ الهداية ، أخرجنا من الظلماتِ إلى النورِ من ظلماتِ الشركِ والاستعباد ، ظلماتِ الجهلِ والاستبداد ، إلى نورِ التوحيد والحرية ، نور الحقّ والمدنيةِ ، فصلوات الله وسلامهُ عليه وعلى آله وأصحابه الذين سلكوا طريقتَه ، واتبعوا سنّتَه ، فدانت لهم الأممُ صاغرة ، وأصبحت لهم الكلمةُ النافذة ، لا كلمةُ الظلمِ والاستعمار ، ولكن كلمةُ الانصافِ والعدالة ، والعزة والهداية ، وفقنا الله للاقتداءِ بهم وانتهاج سبيلهم ، إنه بالاجابة جدير وهو على كل شئ قدير

« أما بعد » فان فى مثلِ هذه الأيام أشرقَتْ على العالَمِ شمسُ الحضرة المحمدية ، ونورُ الهدايةِ الربّانية ، فى مثل هذه الأيام وُلِدَ رسولُنا الكريمُ ، وحبيبُنا الأمين ، وُلِدَ مُنْقِذُنا من أرجاسِ الشرك ، ودنايا الأخلاق ، وباطِلِ العقائد مُنْقِذُنا من سَلْطَةِ الرؤساءِ المستبدين ، والطغاةِ الباغين ، منقذُنا من حروبٍ أكلت الرجال وأهلكت الأموال ، ومُشَاحَنَاتٍ ما كان يفرُغُ لها بال ، فى مثل هذهِ الأيام وُلِدَ محمدُ بن عبدِ اللهِ صلوات الله وسلامهُ عليه ، فكان ميلاده ثم بَعْثُهُ على العالمِ بَرْداً وسلاماً ، ورحمةً ووئاماً « وما أرسَلْنَاكَ إلا رحمةً للعالمين » « قُلْ إنّما أنا بَشَرٌ مثلُكم يُوحَى إلىَّ أنّما إلهُكُمْ إلهٌ واحدٌ فاستقيموا إليه واستغفِروهُ وَوَيْلٌ (٢) لِلْمُشركين الذين لا يُؤْتُونَ الزكاةَ وهُمْ بالآخرةِ هم كافرون ، إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ لهم أجرٌ غيرُ ممنون (٣) » فى مثلِ هذهِ الأيام وُلِدَ النبىُّ الأُمىُّ الذى يجدُهُ اليهودُ والنصارى « مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرُهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكر ويُحِلُّ

(١) انقطاع (٢) هلاك (٣) مقطوع

لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم (١) والأغلال (٢) ـ التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه (٣) ونصروه واتبعوا النورَ الذى أُنزلَ معه أولئك هم المفلحون قل يا أيُّها الناسُ إني رسولُ اللهِ إليكم جميعاً الذى له مُلكُ السمواتِ والأرض لا إله إلا هو يُحْيِي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأميِّ الذى يُؤْمِنُ باللهِ وكلماتِهِ واتبعوه لعلَّكم تهتدُون »

فى مثلِ هذه الأيام وُلِدَ سيدُ الأولين والآخرين فبلَّغنا عن ربّه كتابه المبين فيهِ نَبأُ ما قبلكم ، وخَبَرُ ما بعدَكم ، وحُكمُ ما بينَكم ، هو الفصْلُ ليس بالهزل من تركه من جبَّارٍ قصَمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، وهو حَبْلُ الله المتين ، وهو الذكرُ الحكيم ، وهو الصراطُ المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تَلْتَبِسُ به الألسنة ، ولا يَشْبَعُ منه العلماء ، ولا يَخْلَقُ من كثرة التَّرْدادِ ، ولا تنقضِي عجائبه ، هو الذى لم تَنْتَهِ الجنُّ إذ سَمِعَتْهُ حتى قالوا (إنَّا سَمِعنا قرآناً عجباً يَهْدِي إلى الرُّشدِ فآمنا به ولن نُشرِكَ بربنا أحدا) فمن قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم

فخليقٌ بنا معشَرَ المسلمين أن نحييَ ذكرى الميلاد والبعثة ، لا باللهو واللعب ، و إقامة الزينات ، ونصب الحفلات ، وأكلِ الحَلْوَياتِ ، ولكن بتذاكرِ القرآن ومدارسةِ سنة خيرِ الأنام ، والسيرِ على ما كان عليه من آدابٍ وأخلاق ، وعقائدَ وأعمال « لقد كان لكم فى رسول الله أُسْوَةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخر وذَكَرَ اللهَ كثيراً »

روى البخاري عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا مَنْ أبَى قالوا : ومن يأْبَى يا رسولَ الله قال : من أطاعنى دخلَ الجنة ومن عصانى فقد أبَى

(١) حملهم (٢) القيود (٣) التعزير التفخيم والتعظيم والاعانة والتقوية والنصر

٤

تذكير المسلمين بمجد أسلافهم

الحمد لله شَرَعَ للناسِ ما فيه مصلحتُهم، فأمرهم بكلِّ ما فيه نفعهُم، ونهاهم عن كلِّ ما يَضُرُّهم، إن ربَّكَ حكيم عليم، أشهد أن لا إله إلا هو أعدلُ العادلين، وأصدق القائلين، وأرحمُ الراحمين إن الله بالناسِ لرءوفٌ رحيم، والصلاة والسلامُ على من جاءنا بالشريعة السَّمْحَة، التي من اتَّبعَها بَلَغَ الدرجةَ العالية، سيِّدِنا ورسولِنا محمدٍ ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين تمسكوا بالدين، فامتلكوا مشارقَ الأرض ومغاربَها وصَدَقَ الله لهم وعْدَه « وعدَ الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ولَيُمَكِّنَنَّ لهم دينَهم الذي ارْتَضَى لهم ولَيُبَدِّلَنَّهُم من بَعدِ خوفهم أمناً يَعْبُدُونني لا يُشْرِكون بي شيئاً » وكان وعْدُ رَبِّكَ حَتْماً مقضيًّا

« أما بعد » فقد عَلِمْتُمْ أيُّها المسلمون ما كان لأسلافِنا الأولين، مِنَ الصحابة والتابعين، ما كان لهم من العِزَّة والرفعة، ونفاذِ الكلمة، والسيادةِ في الأرض، والسَّعةِ في الرزق، ما كان لهم من الأخلاق الجميلة، والأعمال الجليلة، والقلوب البيضاء والمعاملاتِ الحسناء، وما كان ذلك إلا أثرا لهَدْيِ الإسلامِ في نفوسهم، وتمكّنِه من قلوبهم، واعتمادِهم على ربهم، والنظرِ إلى القرآن بعينٍ مِلْؤُها الاجلالُ والاعظام وإلى السُّنَّةِ بالاتباعِ والاحترام، وما كان الله لِيَخْذُلَ قوماً قد نصروا دينَه وَوَلوا وجوهَهم نحْوَه « وما كان اللهُ لِيُضِيعَ إيمانَكم إنَّ الله بالناس لرءوفٌ رحيم »

يا معشر المسلمين أيليقُ بنا أن نَنْتَسِبَ إلى دين خيرِ الأنبياء، ونحن أبعد النَّاسِ عن العملِ بالسنةِ الغراء، أيليقُ بنا أن نقولَ إننا المسلمون، ونحن العاصون المخالفون، أيليقُ بنا أن نقول اننا للاسلام محبون، وأعمالُنا تَنْطِقُ بأنا له كارهون مابالُ القلوبِ تغيَّرت، والأخلاقِ تَبَدَّلت، والشريعةِ هُدِّمت، ما بالُنا نخشى

الناس ولا نخشى الله ، والله أحقُّ أن نخشاه

يا أيها المسلم ألم تَعِظْكَ الأيام ، ألم تعتبرْ بما كان ، ذُلٌّ لنا بعد عز ، ونفاقٌ بعد إخلاص ، وسوء أخلاقٍ بعد تحسنِ أخلاق ، وفقرٌ بعد غنى ، وضيقٌ فى الأرض بعد اتساعٍ ، واستعمارٌ بعد استقلالٍ

يا أيها المسلم اتق الله وأرْعَهُ فى أحكامه ، وفى العملِ بقرآنه ، وتخوَّفْ من عذابه ، إن عذابَ الله لشديد (يا أيها الناسُ اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجَها و بثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامَ إنّ الله كان عليكم رقيباً)

روى رزين عن أبى هريرةَ رضي الله عنه أنه دخلَ السوقَ فقال : أراكم ههنا وميراثُ محمدٍ ﷺ يُقْسَمُ فى المسجد فذهبوا وانصرفوا وقالوا : ما رأينا شيئاً رأينا قوماً يقرءون القرآن قال : فذلكم ميراثُ نبيّكم محمدٍ ﷺ

٥

فى التقوى

الحمدُ لله عظُمَتْ قدرتُه وتعالت حكمتُه وعمَّتْ نعمتُه سبحانه يُعِز من يشاء ويذلُّ من يشاء يرفع أقواماً ويضع آخرين يُعْلِى شأنَ عبادِه المؤمنين ويُزَلْزِلُ عرشَ الباغينَ الطاممين ، الغاصبين الظالمين ، فهو الذى يُمْهِلُ ولا يُهْمِلُ ، ثم يأخذ بالخناق ، فلا يجد الغاصبُ من مفرَ (ولم تكنْ له فئةٌ ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً ، هنالك الولايةُ لله الحقِّ هو خيرٌ ثواباً وخيرٌ عقباً) أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبدُه ورسوله أتقى الخلقِ وأبرهم ، وأكملهم وأعدلهم ، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه أهلِ التقوى والمعرفة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

« أما بعد » فان الله سبحانه وتعالى خلقَ الخلقَ غنيًا عن طاعتِهم، آمنًا من معصيتهم، لاتضره معصيةُ من عصاه، ولاتنفعُه طاعة من أطاعه، قَسَمَ بينهم أرزاقهم ووضَعَهُم من الدنيا مواضعهم، فالمتقون فيها هم أهـل الفضائل، منطقهم الصواب ومَلْبَسُهُم الاقتصاد، ومَشْيُهم التواضع، غَضُّوا أبصارهم عما حرَّم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، لولا الأجلُ الذى كتب عليهم، لم تستقر أرواحهم فى أجسادهم طرفةَ عَيْنٍ، شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب، عَظُمَ الخالق في نفوسهم، فصغُر مادونه فى أعينهم، قلوبهم من الله محزونة، وشرورهم مأمونة، أجسادُهم نحيفة، وحاجاتُهم خفيفة، صبروا أياماً قصيرة، أعْقَبَتْهُم راحةً طويلة، أرادتْهم الدنيا فلم يريدوها، وأسَرَتْهم فخَلَّصوا أنفُسَهم منها، أما الليلُ فصافُّون أقدامَهم فى الصلاة، تالين لأجزاء القرآن يُرَتِّلونه ترتيلا، وأما النهارُ فحكماء علماء، أبرارٌ أتقياء، لايَرْضَوْن من أعمالهم القليل، ولا يستكثرونَ الكثيرَ، فهم لأنفسهم مُتَّهِمُون، ومن أعمالهم خائفون، إذا مُدِحَ أحدهم خاف مما يُقَالُ له فيقول: أنا أعلمُ بنفسى من غيرى، وربى أعلم بى من نفسى، اللهم لاتُؤاخِذْنِي بما يَقُولون، واجعلْنى أفضل مما يَظُنُّون، واغفر لى مالا يعلمون، من علامة الوَرِعِ القَوِيِّ أن ترى له قُوَّةً في الدين، وإيماناً فى يقين وحِرْصاً فى علم، وعلما فى حِلْم، وخُشوعاً فى عبادة، وصَبْراً فى شِدَّة، وطلباً فى حلال ونشاطاً فى هُدًى، مَيِّتَةٌ شهوتُه، مكظومٌ غيظُه، الخيرُ منه مأمول، والشَّرُّ منه مأمون، يعفو عمَّن ظَلَمَه، ويُعْطِي من حَرَمَه، ويَصِلُ من قَطَعَه، يعترفُ بالحقِّ قبلَ أن يُشْهَدَ عَلَيْه، لايخونُ الأمانة، ولايَضُرُّ الجار، ولا يَشْمَتُ بالمصائب، ولا يَدْخُلُ في الباطل، ولايخرجُ من الحق، إن بُغِيَ عليه صَبَر، حتى يكون الله هو الذى ينتقم له، أتعبَ نفسَهُ لآخرته، وأراح الناسَ من نفسِه، بُعْدُه عمن تباعَدَ عنه زُهْدٌ ونزاهة، واقترابه ممن قَرُبَ منه لِينٌ ورحمة، ليس تباعدُه بِكِبْرٍ ولا عظمة، ولا دنوّه بمكرٍ وخديعة، تلك صفاتُ المتقين، تلك صفاتُ المؤمنين

المخلصين ، تلك صفاتُ الذين يَخْشَوْن ربَّهم بالغيب وهم من الساعة مُشْفِقُون ، فأين أنتم معشرَ الحاضرين من هؤلاء الأبرار ، أين أنتم من هؤلاء السادة الأطهار اتقوا الله وكونوا مع المتقين، إنَّ اللهَ مع الذين اتَّقَوْا والذين هم مُحْسِنون »

روى مسلم عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقول : اللهم أصْلِحْ لى دينى الذى هو عِصْمَةُ أمرى ، وأصلِحْ لى دنياى التى فيها معاشى وأصلِح لى آخرتى التى إليها معادى ، واجعلِ الحياةَ زيادةً لى فى كلِّ خير ، واجعلِ الموتَ راحةً لى من كل شر (١)

٦

فى إضرار الزنى

الحمدُ للهِ يعلمُ السرَّ وأخفى ، مامِنْ شىء فى السمواتِ أو الأرض إلا وهو به أدْرَى ، نفذ علمُه فى كلِّ شئ فتبارك العليم الخبيرُ ، أشهدُ أن لا إله إلا هو يحاسبُكم على ماتُسِرُّونَ وما تُعْلِنُونَ ، ويجازيكم على كلِّ ما تعملون ، فيَجْزِى على الاحسانِ إحساناً ، وعلى السوءِ سوءا ، والصلاةُ والسلامُ على سَيِّدِ الخلْقِ محمدِ بن عبدالله ، وعلى آله وأصحابه الذين ساروا فى الناس سَيْرَه ، واتبعوا نهجَه وسَنَنَه ، فكانوا أحقاء بالنعيم المقيم

« أما بَعْدُ » فقد قال تعالى (ولا تَقْرَبُوا الزِّنَى إنَّه كان فاحشةً ومَقْتاً (٢) وساء سبيلا) نهانا العليمُ الحكيمُ عن الاقترابِ من الزنى فكيفَ بالوقوع فيه، لم يَنْهَنا عنه عَبَثاً ، ولكن لأنه من أشدِّ القبائح ضرراً ، يُبَدِّدُ الأموال تبديداً ، ويُقَتِّلُ الذرية تقتيلا، يَجْنِى على الأعراض أكبر جناية ، وهو للدين أعظمُ خيانة

(١) كثير من هذه الخطبة مقتبس من كلام على رضى الله عنه مع تغيير يناسب العصر وقربها إلى الافهام (٢) الفاحشة المعصية التى كثرت أضرارها . والمقت أشد البغض

الزنى قتّالٌ للاخلاقِ الفاضلة ، وناشرٌ الامراض العاتكة ، فالتشو يش والسَّيلان والقرحُ الأكالة والزُّهْرِي ، أثرٌ من آثاره الوخيمة ، وشرٌّ من شروره المستطيرة يُنْعِمُ عليك ربُّكَ بالمالِ الحلالِ ، فَتُنْفِقُهُ في مجاهرتِهِ بالعصيان ، ألم يكن أولى بمالكِ نَفْسُكَ التي بين جنبيك ، وزوجتُكَ وأولادُكَ وقدقبضتَ عنهم يديك ، ألم يَكُنْ أولى بمالك أُمَّتُكَ التي أنتَ بين أحضانها ، التي عزَّها إعزازُك ، وسعدُها إسعادُك تخشى الناسَ أن يَرَوْكَ مرتكباً لهذا الجُرْمِ العظيمِ ، أفلا تستحي من الخبيرِ العَليمِ ، وهو أقربُ اليك من حبلِ الوريد (١) « وتَخْشَوْنَ الناسَ واللهُ أحقُّ أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » أترضى يامسلمُ أن يُنتهَكَ عِرْضُ أُمِّكَ أو عرضُ أختِكَ أو عرضُ زوجتِك ، إذا كنتَ لاترضَى ذلك لنفسِك ، فمابالُك ترضاه لغيرِك ، هل تقطَّعتِ الأسبابُ بين المسلمين ، وفقدوا الصلةَ بينهم والأخاء ، فأصبح المسلمُ لايُحِسُّ بألم أخيه ، ولا يحفظُ له من الحقوقِ مايحب أن يحفظه الناسُ له ، إن ذلك واللهِ لَمُصابٌ جليل ، يامعشر المسلمين ، أليس بحرامٍ أن يزني الرجلُ بزوجةِ الغيرفتحملَ منه وتلِد ، ويربِّيَ الأبُ غيرَ بنيه ، يَكِدُّ يومَه ، ويَسْهَرُ ليلَه ، لينفق على من ظنَّه له ولَداً ، وهو في الحقيقة ليس له أباً ، أما يُعْتَبَرُ ذلك ظلماً للزوج ، وسرقةً لأمواله وغِشّاً له ، وتلبيساً عليه ، ومن غشنا فليس منا ، وهَبْ أنَّها غيرُ متزوجة وأتت بولد فمن يُراعِيه ؟ من يربيه ؟ بأي نسب يفتخر ؟ بل إلى من يَنْتَسِب ؟ . ألم تعلموا أن الاقبالَ على الزنى أكثرَ الفتياتِ غيرَ المزوجات ، وعَرَّضَهُنَّ لارتكاب الفاحشات ، وجعلهن حِمْلاً ثقيلا على آبائهن وأمهاتهن ، بل حملا ثقيلا على الأخلاق أليس الاقبالُ على الزنى أسهرنا الليالي الطوال ، فتعرَّضت الصحةُ لأعظمِ الأمراض

ألست باقبالك على الزنى تكون قدوةً سيئةً لزوجتِك و بناتِك ، وأبنائك وأخواتك ، تضرِبُ زوجتَك أو تقتلُها إن بغت وفَجَرَتْ ، وكانت نفسُكَ بذلك أولى ، و بعقو بتك أحق وأحرى

(١) حبل الوريد عرق من عروق الدم في العنق

يا مُسْلِمُ إن الزنى شَرُّه مستطير ، وضرره خطير ، وإن من زنى لاحظ للاسلام من نفسِه ، وإنه لممقوتٌ ومطرودٌ من رحمةِ ربِّه ، فاتَّقِ اللهَ في أعراضِ الناس اتق الله فان التقوى خيرُ زاد ، اتق الله فان الله عليك رقيب ، وكل امرئٍ بما كسب رهين

روى البخارى ومسلم والنسائى عن أبى هريرةَ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا يَزْنِي الزانى حين يزنى وهُوَ مؤمِن ،ولا يَسْرِقُ السارقُ حين يَسْرِقُ وهو مؤمن ، ولا يَشْرَبُ الخمرَ حين يشربُها وهو مؤمن

٧

تقليد الاجانب — آداب ديننا

الحمدُ لله نهانا عن التشبُّهِ بأهل الكتاب ، الحمد لله الذى جعل لنا من دينِنا ما فيه عبرةٌ لأولى الألباب ، الحمد لله الذى علَّمنا بكتابه الحكمة وفصلَ الخطابِ الحمدلله على ما أرشد وألهم ، وهدى إلى الطريق الأقوم ، أشهد أنه الإله وحده ، بيده ملكوت كلّ شئ ، إليه ألجأ ، و به أعتصم ، هو ربى ومولاي ، فنعم المولى ونعم النصير ، وأشهد أن محمدا عبدُه ورسولُه إمامُ البَرِيَّة ، صاحب الأخلاقِ المرضية سيدُ المرسلين ، قدوةُ المتقين ، من سلك سبيله وصل ، ومن عدل عنه غوى وضل صلوات ربى وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه السادة الأخيار ، الأتقياءِ الأبرار ، الذين تأدبوا بآدابه ، وتابعوه فى أخلاقه وعادِه ، جزاهم الله أحسن ما كانوا يعملون

« أما بعد » فان أُمَّةً لا تحتفظُ بشِعارها ، وعاداتها وأخلاقها وآدابها ، لا بد أن يتقوضَ بنيانُها ، ويذهبَ عِزُّها ومجدها ، ما بالُنا لا نتخلق بأخلاق دينِنا ونَتَحَلَّى بِحُلِى نبيِّنا ، ونحافظُ على تقاليدنا وعاداتنا ، بل تركنا كل ذلك بناحيةٍ وجانب ، وأبينا إلا أن نُقَلِّدَ الأجانب ، هل عِنْدَهُمْ من مكارمِ الأخلاقِ مثلُ

ما عندنا ، مثلُ ما فى كتابِ الله المبين ، وسنةِ رسوله الأمين ، يأمرُنا ديننا بالعدلِ والاحسانِ ، ومواساةِ الأقرباء ، ويُجيزُ لنا القصاص ، ويُفَضِّلُ عليه العفو ، يأمرنا بإقام الصلاةِ و إيتاءِ الزكاةِ والتعارفِ، والتعاونِ على البرِّ والتقوى ، يأمرنا بمساعدةِ البائسين، واليتامى والمساكين، والسائلين والسائحين ، يأمرنا ببذلِ المال فى فك الرقاب وتخليصِ الأممِ والأفراد من الرقِّ والاستعباد ، يأمرنا بالمحافظةِ على الوعود ، والوفاءِ بالعهود ، يأمرنا بالصبر فى البأساءِ والضراء ،ومنازلةِ الأعداء ، يأمرنا بالمسارعةِ فى كل خير، ومجانبةِ كلِّ شر ، فلا قتل ولا زنى ، ولا سرقةَ ولا خمر ، ولا غِشَّ ولا قمار ولا ظلمَ ولا عُدْوان ، ولا رياء ولا نفاق ، ولا عداوةَ ولا شِقاق ، ثم هو بعدَ ذلك يأمرُنا بأن نُعِدَّ لعدوِّنا ما استطعنا من قوة ومن رِباط [1] الخيل . لا طمعاً فى سلب الأمم استقلالهَا . ولكن نشرِ الحق بينها ، لا امتصاصاً لدماءِ العالمِ وأموالِه،ولكن فى بثِّ العدالةِ بين أفرادِه ورفعةِ مقامه ، لا حملا للناس على أن يتدينوا بغير مايختارون ولكن لنأمن على ديننا ، ومهدِ أسلافنا أن ينالوه بشر ، أو يقصدوه بِضُرّ

فهل عند الفرنجةِ وربِّك مثلُ هذه الأخلاقِ وتلك الآداب . هيهات هيهات فلماذا نتخذُهم أئمة نسيرُ حيث ساروا ، ونتجنبُ ما تجنبوا،قلدتموهم معشر المصريين فى الزنى وشربِ الخمور ، والفخفخةِ والاسرافِ فى اللباس، بل زدتم عليهم درجات فأنفقتم أكثر الأموال فى الملذات . هَلاَّ قَلَّدْتموهم فى الصِّناعة ، هلاَّ قلدتموهم فى ترويج البضاعة ، هلاَّ قلدتموهم فى استخراج ماانطوت عليه الأرضُ من معادنَ ومياه وقرآنُكم يقول ـ خَلَقَ لَكُمْ ما فى الأرضِ جميعاً ـ هلاَّ قلَّدتموهم فى تسيير المراكبِ بالبُخَارعلى ظهرِ البحار والغواصاتِ فى جوفِ الماء ، والطيارات فى جوّ السماء ، هلاَّ قلَّدتموهم فى تأليف الشركات،و إقامةِ الجمعيات ، هلاَّ قلدتموهم فيما فيه قوتُكم وسعادتُكم ، وعزُّكم ورفعتُكم ، ما قلدتموهم إلا فيما لا يفيد ، ولا يعود علينا إلاَّ بالوبال الشديد

(١) الرباط إسم للخيل التى تربط فى سبيل الله

أيها المسلم هل ضاقت لغتك العربية لغة دينك وقومك ، عن كلمةٍ تؤدى بها الشكر فقلت « مِرْسى » ولم تقلْ أشكرك ، هل لم تُعْجِبْكَ تحيةُ دينِك ونبيِّك وأسلافِك الأولين فقلت « بُنْشُور » ولم تقل السلام عليكم معشر المؤمنين

يا أمةً فقدت شِعارَها، وتركت لغتَها ، وقلدت غيرها ، هُبِّي من هذه الغفلة وأفيقي من هذه السكرة ، فلقد طال النوم ، حتى أصبحنا فيما ترون ، العاقلُ من اتَّعظ ، العاقل من اعتبر ، ولقد جاءكم من الأنباءِ ما فيه مُزْدَجَر ، اتقوا الله لعلكم تفلحون

روى الترمذى عن عمرو بن شُعَيْب عن أبيه عن جدِّه أن رسولَ الله ﷺ قال : ليس مِنَّا من تشبه بغيرنا ، لاتشبهوا باليهود ولا بالنصارى ، فان تسليم اليهود الاشارة بالأصابع ، وإن تسليم النصارى بالأكف

٨

الصبرُ والجهادُ والعملُ أُسُس النجاح

الحمد للهِ يُكافئُ المجدّين على جِدِّهم ، والصابرين على ما أصابهم ، فينيلُهم ما أمّلوا، ويَنْصُرُهم وقد استيأسوا. الحمد لله يَعْلَمُ المخلصين الصادقين ، والمنافقين الخادِعين ويُجازى كلاً حسبَ عملِه « وما تُجْزَوْن إلا ما كنتم تعملون » . أشهد أن لا إله إلا الله يُسَخِّرُ للمستضعفين المتقين من يأخُذُ بناصرِهم ، ويعملُ معوم لنيل غايتهم وبلوغ مأرَبِهم ، حتى تُصبحَ كلمةُ الحقِ هي العليا، وكلمةُ الظالمين المسرفين هي السفلى حتى تصبحَ أعلامُ الحريةِ عاليةً ظاهرة ، وراياتُ الذلِّ والاستعبادمنكّسةً خاسئة حتى يَشْرُقَ نورُ العلمِ فى أرجاء البلاد ، وينمحىَ الجهلُ من بين العباد . وأشهد أن محمدا عبده ورسولُه ، رسم أقومَ الطرق للسعادة ، وبيَّنَ أنه يد الله على الجماعة علّمنا بسيرته كيف يكونُ الصبرُ فى الشدائد ، وبَيَّن أنه خيرُ سلاحٍ إذا ما دهمتنا

النوائب ، ونُصِبَتْ لنا الأفخاخ والمكائد ، صلواتُ الله وسلامهُ عليه وعلى آله وأصحابه الذين صَبَرُوا على حقِّهم ، واستبسلوا لمناوأةِ خصمِهم، حتى كان لهم من الضيق فرج ومن الشدةِ رخاء . وفقنا الله لانتهاج سبيلِهم، والاقتداءِ بهم فى جلائلِ أعمالِهم

« أما بعـد » فان بشائرَ النصرِ قد دنت ، ورسلَ الحريةِ والعزةِ قد بدت بفضل ما ظهرتم به من الثبات على الحق ، وما اعتصمتم به من الاتحادِ والصـدق وما أخذْتُم به من اليقظةِ والحَيْطَة ، وإعدادِكم لـكل حادثة عُدة ، غير أنكم إن أردتم الأمانىَّ عن قريب ، وأن يكونَ النصر أقربَ إليكم من حبـلِ الوريد ، فعليكم بالأخلاقِ الفاضلة ، والأعمالِ الطيبة ، عليكم بالمشروعاتِ النافعة ، والشركاتِ العاملةِ ، والنقاباتِ الناهضةِ ، لتكن عقولـكم مُفـكّرة ، وعيونكم ساهرة ، وأيديكم عاملةً ،بالأموال فائضة ، ضَحُّوا بالنفيس من وقتِـكم ، وادَّرِعوا بالصبرِ فى جهادِ عدوِّكم وأصلوا حبَّ الخـيرِ العام فى نفوسِكم ، وكونوا مع ذلك بالله مستنصرين ،وعليه متوكلين

يا هذا تطلبُ غايةً من أسمى الغايات ، وحسنةً هي كبرى الحسنات ، فمالك تتوانى عن أعظم المهورِ لخيرِ مخطوب ، وتتكاسلُ عن أكبرِ تضحية لأعزِّ محبوب هذى أوقاتُك فَفَدِّ بها الوَطَنَ والدين ، هذى أموالُك فابذلها فى سبيل الحق اليقين هذى بلادُك تَئِنُّ من الحملِ الثقيل ، فأشفِقْ عليها إن كنت ذا قلب رحيم ، هذى بولاق المعامل فيها قد أقفلت ، والصنائع فيها قـد عُفِّيت ، هـذى الزراعةُ يرجعُ محصولُها كلَّ عامٍ إلى الوراء ، وتُنْذِرُنا بقحطٍ يَقْضِى فينا بالفناء ، هذى العـلوم تركنا لُبابَها وأخذنا القشور، على أننا بعدذلك عن تعلمها فى خمول

فهل بعـد ذلك تضنُّ على الخـيرِ بأموالك الفانية ، وأوقاتِك لذاهبـة ، لِمَ لا يكون عملُكَ لخيرِ بلادك ، ولِمَ لا يكون جِدُّك لحريتك وإسعادِك ، ولِمَ لا يكون عَرَقُ جبينِك فى سبيلِ استقلالك

إن كنتَ بالله مُوَحِّداً ، وبقوته الغالبة مُصَدِّقاً ، وبغايتك العليا هائماً ، فابذُلْ من مالِك ووقتِك ما تسعدُ به أمتُك ، ويجعلُ لكَ فى الآخرين ذكراً حسناً ، ومثالا أعلى « والله معكم ولن يَتِرَكُم (١) أعمالـكم » « ومن يَتَّقِ الله يجعلْ له مخرجاً ويرزقْه من حيث لا يحتسِبُ ، ومن يَتَوَكلْ على اللهِ فهو حَسْبُه ، إن اللهَ بالغُ أمرِه ، قد جعل الله لـكل شئٍ قَدْرا »

روى ابن حبان فى صحيحِه عن ابن عُمَرَ رضى الله عنهما قال : لما نزلت (مثلُ الذين يُنْفِقُون أموالهَم فى سبيلِ الله كمثل حَبَّةٍ أنبتت سبعَ سنابلَ فى كلِّ سُنبلةٍ مائةُ حبةٍ واللهُ يضاعفُ لمن يشاء والله واسعٌ عليم)

قال رسول الله ﷺ : رَبِّ زِدْ أمتى فنزلت (إنَّما يُوَفَّى الصابرون أجْرَهم بغير حساب)

٩

تحذير المسلمين من سوء حالهم

الحمد للهِ العليمِ بما فى الـكون من حوادثَ وخطوب ، البصيرِ بما حلَّ بالمسلمين من شدائدَ وكروب ، وما نالهم من أممِ المدنية ودعاةِ الحضارة كما يزعمون ، والله أعلم بما يضمرون . أشهد أن لا إله إلا هو يُقَلِّبُ الليل والنهار ، ويُغَـيِّرُ العالم من حال إلى حال ، فيضع أمما قد بغت وطغت ، ويرفع أخرى جدت وجاهدت ، يُذِل من اغترَّ بقواه ، ونَسِيَ خالقَه ورازقَه ومولاه ، ويُعِزُّ من اعترف بذنبِه ، ولجأ إلى ربه وأخـذ يتبصَّرُ مواضعَ ضعفِه ، وما أُوتِيَ من قِبَلِه ، سبحانه لا إله إلا هو العزيزُ الحـكيم . وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله أدَّبه وكمَّله ، فـكان عينَ الـكمال ، وأعطاه سيفَ الحق ، فقضى به على الطغاة الأنذال ، الذين يستحلون حُرُمَ الاسلام ، ويعبثون

(١) ينقصكم

فى الأرض بالافساد ، فصلواتُ الله وسلامهُ عليه وعلى آله وأصحابه الذين دافعوا عن الحقّ حتى اعتز ، وأخذوا يهدّمون صروحَ الباطل حتى ذل ، جزاهم الله أحسن الجزاء

« أما بعد » فانى أصبحت لا أرى إلا منكرا ، ولا أسمعُ إلا فاحشاً ، ولا أشم إلا كريها ، ولا ألمسُ إلا خشِناً ، ولا أذوقُ إلا مُرًّا ، حرماتُ للدينِ تُنْتَهك ، وألسنةٌ لا تنطقُ إلا بفحشِ القولِ وسَقَطِه ، وعيونٌ ساخرةٌ زانيـة ، وأيد غامزةٌ طامعةٌ ، ممتدةٌ إلى ماحرّم الحـكيمُ ، منقبضةٌ عما أحل الدين ، أنوفٌ لا تَشُمُّ إلا روائحَ تَنِمُّ عن نفوسٍ دنيئة ، ونياتٍ خبيثة ، وعفةٍ مقبورة ، وأعراضٍ مبذولة آذانُ إلى الشر صاغية ، عن سماعِ الخـير لاهية ، تسمعُ المنكرات فتطمئنُ اليها ، وتودُّ الاستزادةَ منها ، وتسمعُ القرآن فتنصرفُ عن آياته ، ولا يَصِـلُ إلى قلوبها من عظاتِه ، تسمع حديثَ الحكامِ فتصغى له الاصغاء كلَّه ، وسَرْعانَ ما تطيعهُ وتنفذه ،ولو كان بالباطل أمرُهم ، وبانتهاك الحرماتِ حديثهم ، وتسمع كلامَ الأبطالِ المجاهدين ، الذين لا يَخْشَوْن فى الحقِّ لومة ، ولم تدنس سيرتَهم عَيْبَة ، فيقولون سمعنا وعصَينا ، لك آذانُنا ، وللباطل قلوبُنا ، أفبعدَ ذلك تزعمون الاسلام ، وتقولون مؤمنون حقَّ الايمان ، أفبعدَ ذلك تطلبون العزةَ فى ديارِكم ، والحرية لبلادِكم ، والاستقلالَ لأمتِكم ، وهل تعزأمةُ هجَرَتْ دينَها ، ونبذت كتابَ ربِّها ، واستبدلت به القصص والروايات ، والأضحوكات والهزليات ، أمةٌ اتخذت إلٰهَها هواها ، وأغراضَها مسعاها ، وشهواتِها مُناها ، أمة تداس فيها مصالح الجمهور ، لتحيي شركةٌ أجنبية ، أو لينالَ فلانٌ درجةَ سامية ، وفلانٌ رتبةَ عالية ، أمةٌ عهودُها منقوضة ، ووعودُها مكذوبة ، تقلِّبُها الأغراضُ ذاتَ اليمين وذات الشمال ، فطَوْراً تُقَدِّسُ مصلحتَها ، وطوراً تشترى ضُرَّها ، أهـكذا تـكونُ أمةٌ إمامُها القرآن ، وقدوتُها خيرُ الأنام أهكذا تـكونُ أمةٌ لها من سالفِ المجدِ ، وشامخ العز ، مالم يكن الآنَ لأعظم الدول حرامٌ حرامٌ أن تـكونَ فى بلادِنا أدنياء ، حرامٌ أن يكونَ المسلمون عبيدا أرقاء ،

حرامٌ أن تكون يد الأجنبيِّ اليدَ العليا ، حرام أن يُهانَ الدين والعلماء ساكتون حرامٌ أن يتحدَ علينا الغربيون ، ونحن على شهواتنا عاكفون ، وعن أوامرِ الدين غافلون

فاتقوا الله عباد الله . وطهروا أنفسكم من الأوزار . وكَمِّلوها بمكارم الأخلاق وأحاسنِ الأعمال «فاتقوا الله ما استطعتم، واسمعُوا وأطيعُوا ، وأنفقوا خيرًا لأنفسِكم ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المفلحون »

روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : من حمل علينا السلاحَ فليس منا ، ومن غشنا فليس منا . وروى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها أن رسولَ الله ﷺ قال : من ظلم قِيدَ ـ مقدار ـ شِبْرٍ من الأرض طُوِّقَه من سبع أرضين

١٠

الاعتبار بالحوادث

الحمدُ لله يعلمُ المفسدَ من المصلِح ، والمنافق من المخلص ، يعلمُ ما تُكنُّه نفوسٌ من السعي وراء المصلحةِ العامة ، وما تضمرُه أخرى من الجري وراء المصلحةِ الخاصة ثم هو رافعٌ رءوسَ المخلصين ، وجاعلٌ تحتَ أقدامهم رءوسَ المنافقين . أشهد أنه لا إله إلا هو، لا يقعُ في ملكه إلا ما جرت به إرادتُه ، وما اقتضته حكمتُه ، فلئن رأينا اختلافاً واضطهاداً فربما كان الخيرُ نتيجتَه ، والسعادةُ غايته ، وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ لكم ، والله يعلمُ وأنتم لا تعلمون ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه أوذِي في سبيلِ الدعوةِ إلى الحق ايذاء شديدا ، واضْطُهِدَ في سبيلِ الدفاع عن مبدئه اضطهاداً كبيراً ، فلم يَثْنِه ذلك عن غايتِه ، ولم يُضْعِفْ من عزيمتِه ، بل لازال يصبرُ ويُناضِل ، ويقارعُ ويُجادل ،

حتى أصبحت كلمةُ الله هى العليا ، وكلمةُ الذين كفروا هى السفلى . فصلواتُ الله وسلامهُ عليه ، وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، البررة المخلصين

« أما بعد » فكم لله فى خلقه من آية ، وكم له فى حوادثِ الكونِ من عبرة عرفها المُتَبَصِّرُون ، وغفَلَ عنها الجامدون ، هذه أمةُ الروسيا كانت قبل الحربِ الكبرى ترتعدُ أوروبا من ذكرِها ، وتخنعُ لها إذا ما ذُكِرَ تعدادُ جيشِها ، فاغترت بقوتها ، وازدهَتْ بسعةِ مساحتِها ، وكثرةِ خيراتها ، وما هى إلا عَشِيةٌ أو ضُحاها ، حتى جاءهَا أمرُ ربِّك بتسليطِ الألمان عليها ، فبدَّدوا شملها ، وقضَوا على استقلالِها ، ونُفِّسَ عن الأمم التى كانت تحت سلطتِها ، وكذلك ينصرُ الله المستضعفين ويأخذ بيدِ المظلومين ، ولما فَطِنت تلك الأمةُ إلى أن الجورَ هُو الذى قضى عليها والاستبداد هُو الذى دكَّ أركانها ، واضطهادَ المصلحين هُو الذى اجتثَّ أصولهَا ، آثرتْ العدالَةَ على الظلم ، وإعطاءِ الأممِ حريتَهَا على الاستبدادِ بها ، وأكبرت المصلحين لها ، فرجعَ الله إليها مُلْكهَا ، وجمعَ بعد تفرّقٍ شملَها ، ولا زالت تُناضِلُ الظالمين ، حتى قَضَتْ عليهم وتُقاوِمُ المستعمرِين ، حتى أصبحوا من هَولِها يرتجفون ولذكرِهَا يرتعدون ، لا خوفَ الظالمِ من الظالم ، ولكنْ خوفَ الظالمِ منَ القويِّ العادل ، وما أشدَّه من خوف « بَلْ نَقْذِفُ بالحَقِّ على الباطلِ فَيَدْمَغُهُ فاذا هُو زاهِق »

هذه أمةُ التركِ بعد أن أزالتها معاهَدةُ سِيفرَ من عالم الوجود ، فطِنت إلى أن القضاء عليها إنما كان لتخاذل أفرادِها ، وانتشار الظلمِ بينها ، وتركِ نشرِ العلم فى ربوعها ، وتهاونها بتعاليم دينِها ، فلما أن أخذت توثِّقُ عرا وحدتِها ، وتُعِدُّ لعدوها ما استطاعت من قوة ، ونفوسٍ قوية ، وعزائم حديدية ، وضرَعت إلى ربها أن يعيدَ لَهَا استقلالها ، ويرجع لها مكانتَها ، وهَبها قوةً من قوته ، وأمدَّها بجنده وملائكته حتى طهرت أرضَ الاسلام ، من أدرانِ اليونان ، وديارَ العدل من أرجاسِ الاستعمار ، وكذلك ينصرُ الله المجاهدين

فلا يُثَبِّطَنَّكم أيها الناسُ ما ترون من قوة ، وما تَلْقَوْنَ من اضطهاد ، وما تسمعون عن جيوشٍ ومُعَدات ، فان لله جندا لا يُغْلَبُ ، وأسطولاً لا يُقْهَرَ « إن الله عزيزٌ ذوانتقام » « إنَّ ربَّك لبالمرصاد » « لا يَغُرَّنَّكَ تقلُّبُ الذين كفروا فى البلاد ، متاعٌ قليلٌ ثم مأواهم جهنمُ و بئس المهاد » « وأطيعوا الله ورسولَه ولا تَنَازعوا فتفشلوا وتذهبَ ريحُكم ،واصبروا إن الله مع الصابرين »

روى مسلمٌ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : المؤمنُ القويُّ خيرٌ من المؤمنِ الضعيف وفى كلٍّ خير ،احرِصْ على ماينفعك ، واستعنْ باللهِ ولا تعجزْ ، و إن أصابك شىء فلاتقُلْ لوأنى فعلت كذا كان كذا وكذا : ولكن قُلْ قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل فانّ لوتفتح عملَ الشيطان

١١

العبودية لله وحده — العمل

الحمد لله بمعونته نستمد ، وعلى حوله وقوته نعتمد ، الحمد لله ينصرُ من لدينه نصر ، ويخذلُ من لدينه خذل ، الحمدُلله ربُّنا وإلهُنا ، وملجأنا ومَعاذنا ، لانُشْرِكُ به أحدا من عبيدِه ، ولا نخضعُ إلالسلطانه ، ولا نَذِلُّ إلاّلجبروته ، فماان نَذِلَّ لأحدٍ من خلقِه ، فذلكم الباطل الذى لا ينبغى أن يتدنَّسَ به مسلم ، ولا أن يَحُومَ حولَه مؤمن ، والصلاةُ والسلامُ على مصباحِ الهداية ، وعَلَمِ العدالة ، ورسولِ السَّلام ، والآخِذِ بناصيةِ الظالمين ، فمذلِّهم بعد جبروتهم ، ومُرغِمِ أنوفِهم بعد استكبارِهم ، والرافعِ لواءَ العاملين المخلصين ، فسائرٍ بهم إلى أعلى الدرجات ، وفسيح الجنات ، قدوتُنا وحبيبنا ، وسيِّدُنا وشفيعُنا ، محمدُ بنُ عبدِ الله صلواتُ الله وسلامُهُ عليه وعلى آلِه وصحبه والتابعين

« أما بعـدُ » فيقولُ الله تعالى (وقُلِ اعملوا فسـيرى اللهُ عمَلـكم ورسولُه والمؤمنون وستردون إلى عالمِ الغيبِ والشهادةِ فينبئُـكم بما كنتم تعملون) إى وربى ليس شىء يوصِّلُ إلى الغايةِ غيرَ العمل، فالسائر لا بد واصل ، والواقف محرومٌ غير نائل ، فبالعمل ندرك الغاية ، ونَصِلُ إلى النهاية ، بالعمل لديننا ، يرضى عنا إلهُنا بالعملِ لدنيانا ، تزولُ عنا سيطرةُ سوانا ، ونُصْبِـحُ فى الأرضِ أقوياء سادة ، أعزاء قادة ، بعـد أن كنا مستضعفين ، ينال الأجانب من ثروتنا وأخلاقنا ، ما يذهبُ بقوّتِنا ، ويكادُ يقضى على وجودِنا ، لا إن كلامَنا كثير ، وعملَنا قليـل ، ألا ان ذلك عارٌ على قومٍ مؤمنين ، بل ذلـكم النفاقُ معشرَ المسلمين ، تقولون مالا تفعلون وتجاهرون بمالا تُضمرون ، وتتعهدون بمالا توفون ، وتُخْلِفون ماتعدون ، فبربِّـكم أبعد هذا نفاق ، أبعد هذا انحطاط ؟ أليس ذلك سبباً لخذلانِنا ، أليس ذلك قاضيا على استقلالِنا ، أليس ذلك مغضباً لربِّنا ، فهل آن لنا أن نستفيق من هذه الغفلة وتستيقظ من تلك النومة ، التى طال أمدُها ، وامتـدّ حبلُها ، وساءتْ عاقبتُها ، ورأينا بأعينِنا وخامتَها ، ولَمَسْنا بأيدينا نارَها وشررَها ، ولهيبَها وسعيرَها ، هل آن لنا وقد أصبحنا بصراء بأمورنا ، وعارفين بحقوقِنا ، أن نُدْعِم ذلك العلمَ بالعمل ، ونحقق الغايةَ والأملَ ، ونُبْدِلَ كلامَنا بسكوت ، لاسكوتِ الضعيفِ المخذول ، ولـكن سكوتِ من أهمَّهُ عمـله ، وشغله شأنُه ، فلم يتـكلم ، خشـيةَ أن يشغلَه كلمُه ، عما عليه عمله

فاعْمَلوا وفقـكم الله لدينـكم ، تفوزوا برضا ربِّـكم ، واعْمَلوا لدنياكم ، تستقلَّ بلادكم ، وتروج تجارتُـكم ، وتنتعش صناعتُـكم ، وتأتيكم السعادة خاضعة ، وحينئذ تُهلِّلون وتُـكَبِّرون ، وتقولون : لااله إلاالله وحدَه ، صدق وعدَه ، ونصر عبدَه ، وأعزَّ جندَه ، وهزم الأحزابَ وحدَه

روى البخاريُّ ومسلمٌ عن أبي ذرٍّ رضى الله عنه قال : قلت يا رسول الله أى الأعمالِ أفضل قال الايمان بالله ، والجهادُ فى سبيله . قلت : أىّ الرقابِ أفضلُ ؟ قال

أنفسُها عند أهلها ، وأكثرها ثمناً ، قلت فان لم أفعل . قال تُعِينُ صانعا ، أو تصنعُ لأخرق ، قلتُ : يا رسول الله أرأيتَ إن ضعفتُ عن بعضِ العملِ قال تَكُفُّ شرَّك عن الناس ، فانها صدقةٌ منك على نفسِك

١٢

الاستعداد للموت

الحمدُ للهِ العليم فلا تخفي عليه خافية ، الخبير بما تكسِبُهُ كل نفسٍ سرا أو علانية ، الحمد لله قدَّرَ لكلِّ امرئٍ أجلا لا يتجاوزُه ولا يعدوه ، بل عنده تقفُ دقاتُ قلبه ، ويُنْزَعُ روحُه من جسدِه ، وإذ ذاك لا ينفعهُ حسبٌ أو نسب ، ولا ذريةٌ ولا نشب ، ولكنَّه العمل ، فانه مُسعدُه أو مشقيه « فأمَّا من طغى وآثر الحياةَ الدنيا فان الجحيمَ هى المأوَى ، وأمَّا من خاف مقامَ ربِّه ونهى النفسَ عن الهوى ، فان الجنة هى المأوى » أشهدُ أن لا إله إلا هو يحيي و يميت ، وهو على كل شئ قدير ، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسوله ، قبضه مولاه إلى الرفيقِ الأعلى ، وأعدّ له فى جواره الدرجات العلا ، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آلِه وأصحابه ، الذين لم تشغلْهم دنياهم عن أخراهم ، ولا حاضرُهم عن مستقبَلِهم بل كانوا كما قالوا « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذابَ النار ، أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا ، والله سريع الحساب »

« أما بعد » فلكلِّ إنسانٍ فى هذه الحياة أنفاسٌ معدودة ، وساعاتٌ محدودة عند انقضائها تُلَفُّ أعمالُه ، و يُطْوَى سِجِلُّه ، ويحالُ بينه و بين هذه الدار ، و يؤخذ به إلى دار القرار ، فاما دارُ أنس وبهجة ، وإما دارُ شقاء ووحشة ، عند انقضائها يُنْزَعُ من بين أهلِه وأولادِه ، وأقربائه وخلانِه ، وكنوزِه وأمواله ، وخدمِه وحشمِه وأسبابِ نعيمِه وأنسِه . ويوضع فى باطن الأرض ، فى صحراء مقفرة ، لا أنيسَ بها

ولا جليس ، بل يتركه الناسُ وحده ، وقد أظلم عليه الليل ، ودنت منه الوحوشُ ، واختلطَ بلحمِه الدِّيدان ، فمن ياترى يُنْجيه من بأسِ الله ، ويؤنسُه فى دارِ غربتِه ويُخَفِّفُ من كُرْبتِه ، اللهم لا شئَ إلا عملٌ صالحٌ قدمه فى دنياه ، فهو أنيسُه فى قبرِه وأخراه ،فمن زرع فى هـذه الدار الراهنة ، حصد زرعه فى الدارِ الآخرة ، فان زرع الذنوبَ والآثام ، أثمرت شوكا وضَريعا ؛ وزَقُّوماً ومُهْلاً [١] منها طعامُه وشرابُه ، « إن شجرةَ الزَّقُّومِ طعامُ الأثيم ، كالمُهْلِ يَغْلِي فى البطونِ كغَلْيِ الحميم » « وإن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بماءٍ كالمُهْـلِ يَشْوِى الوجوهَ بئسَ الشرابُ وساءتْ مُرْتَفَقاً » ، وإن زرع كلماتٍ طيبة ، وأعمالا صالحـة ، جنى ثمراتٍ طيبةً ناضجة ، ونعيماً مقيماً ، وشراباًمريئاً « وجزاهم بما صبروا جنَّةً وحريرا ، متكئين فيها على الأرائِكِ لا يَرَوْنَ فيها شمساً ولازَمْهَرِيراً [٢]، ودانيةً عليهم ظِلالُها وذُلِّلَتْ قطوفُها تذليلا ، ويُطافُ عليهم بآنيةٍ من فِضَّةٍ . . . . ـ إلى قوله ـ وكان سعيكم مشكوراً » فخبِّرونى معشرَ الحاضرين ماذا قدَّمتم من عملٍ صالح ، ماذا أعددتم لهولِ يومٍ عظيم « يوم لا يَنْفَعُ مالٌ ولا بنون ، إلا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم » ألم تُلْهِكم الدنيا عن الآخرة ألم تعكفُوا على الشهواتِ واللذات ، أما تشربون المسكِرات ، حتى فى الأعياد الدينية والمواسمِ الشرعية ، فبـدل أن تشكروا الله على مايسوقُه اليكم من الخـيرات ، تـكفرونه بالـكلماتِ البذيئـة ، وتجعلون من بيوتِـكم حانات ، ومن أوانيكم دِنانَ خمور ، وأدوات فسقٍ وفجور ، ألم يكُنْ للزورِ بينكم مجالٌ واسع ، تشترون به عرضاً من الدنيا وتبيعون به جنـةً عرضُها السمواتُ والأرض ، ألم تقيموا لـكل موبقةٍ سوقاً رائجةً ، تبيعون فيها الدينَ والأخلاق ، والأعراض والمروءات ، ألا إنما الموت نذيرٌ لـكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد ، ألا إنما الموتُ قاصمُ الآجال ، وقاضٍ على الآمال

هو الموت فاحذر أن يجيئك بغتة وأنتَ على سوء من الفعلِ عاكِفُ
وإياكَ أن تُحصِي من الدهر ساعةً ولا لحظـةً إلا وقلبـك واجفُ

---

(١) الضريع شوك السعدان . والزقوم الطعام الـكريه . والمهل عكارة الزيت (٢) البرد الشديد

وبادِر بأعمالٍ يسرك أن تُرَى إذا نُشِرَتْ يومَ الحسابِ الصحائفُ

فاستعدُّوا عبادَ اللهِ لحياةٍ لاتنفد ، ونعيمٍ لايبرَح ، وتذكَّروا قوله تعالى « كل نفسٍ ذائقةُ الموتِ ، وإنما تُوَفَّوْنَ أجورَكم يومَ القيامة فمن زُحْزِحَ عن النَّار وأُدْخِلَ الجَنَّةَ فقد فاز ، وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغُرُور »

روى ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنتُ جالساً مع النبى ﷺ فجاء رجلٌ من الأنصار فسلَّم على النبى ﷺ وقال يارسول الله : أىُّ المؤمنين أفضل قال : أحسنُهم خُلُقا قال : فأىُّ المؤمنين أكيسُ ـ أعقل ـ قال أكثرُهم للموتِ ذكرا ، وأحسنهم لما بعده استعدادا ، أولئك الأكياس . وروى الترمذى عن شدَّاد ابن أوس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : الكيِّس من دانَ نفسَه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتْبَعَ نفسَه هواها وتمنى على الله الاماني

١٣

جزى الله الشدائد كل خير

الحمد لله ضمِن السعادة فى الدنيا والآخرة ، لمن آمن وعمل الأعمال الصالحة الحمد لله يكافئُ المجاهدين على جهادهم ، وصبرِهم وثباتِهم ، بالفوز المبين ، والنصرِ العظيم ، يعلى نفوسَهم ، ويُكْبِرُ شأنَهم ، ويُنيلُهم أغراضَهم ، فسبحانه من إلهٍ عادل يحكم ما يريد . أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسولُه ، هدى الناسَ إلى صراطٍ مستقيم ، من سلكه فاز بالعزِّ والنعيم المقيم ، ومن حاد عنه ذاتَ الشمال وذاتَ اليمين ، رُمِىَ به فى سواءِ الجحيم ، فصلوات الله وسلامُه عليه . وعلى آلِه وصحبِه والتابعين

« أمَّا بعدُ » فان العزَّ والسعادةَ ، والاستقلال والسيادة ، لا تُنَالُ بالنَّوْمِ والكسل ، والتباطؤ والتقاعد ، والسيرِ وراء الشهوات ، واتباع الهوى والضلالات

وتركِ كتابِ اللهِ ظِهْرِيًّا ، وجعلِ سنةِ الرسولِ نَسْيًا مَنْسِيًّا ، إنما المُلْكُ والعزةُ لمن أدَّب نفسَه بآدابِ الدِّين ، وقفى سنةَ خاتمِ النبيين ، وجَعَلَ الاسلامَ له إماماً ، وعَلَمَ الحقِّ لطريقه منارا ، من خطبَ السعادةَ وأرادها ، فلا يهتَمَّنَّ بالمحنِ والشدائد تصيبُه فى سبيلِ أداءِ الواجب ، لا تَهُمَّنه رَزايا الأعداء وأُحْبُولاتُهم ، وما يُدَبِّرونه من مكرٍ وخديعة ، بل يقابلُ ذاك بصدرٍ رحب ، وقلبٍ ثابت ، ونفسٍ أبية ، ولايَظُنَّنَّ هذه الشدائدَ بلاءً ونقما ، بل يَعُدُّها مِنَحاً من اللهِ ونعما ، فانها تُكَوِّنُ النفوسَ الكبيرة ، وتُورِثُ الأخلاقَ الحميدة ، وتُرَبِّي رجالَ المستقبل ، وتضعُ للأممِ أساساتٍ متينة ، تبنى عليها مجدَها وعزَّها ، وجريتَها واستقلالها ، ولولا ما أصابَ دولةَ التركِ من الانخذال فى الحربِ العظمى ، وما قاسته من الوَيْلاتِ والدواهى الكبْرَى ، لما وصلت إلى هذه الدرجةِ العظيمة ، والمكانةِ الرفيعة ، والكلمةِ النافذة والسلطةِ العادلة ، حتى أصبحت غُرَّةً فى جبينِ الأممِ الشرقية ، ومثالا تحتذيه الممالكُ الاسلامية ، وأصبحت أعظمَ الأممِ الأوروبية تخشى بأسَها ، وترهب قوتَها وتخاف منها على مُلْكِها الواسع ، وصِيتِها الذائع ، وحَقَّ لها أن تخافَ منها لأنها دولةٌ تَكَوَّنَتْ من الشدائدِ فى سنينَ معدودة ، وأظهرت من المعجزاتِ الحربيةِ والسياسية ، ماوقف الأعداء أمامَه حَيَارَى ولكن لا عَجَبَ ولا حَيْرَة ، فانها أماتت نفوسَها فى سبيلِ الجهاد فحُيِيَت ، وتَخَلَّتْ عن كلِّ ما تملكُ للدفاعِ فأتاها المُلْكُ وكذلك يكون المجاهدون

هذه الأمةُ الطرابُلُسية ، اعتدى عليها الطُّليان ، وأجابوا عليها برجالهم وأساطيلهم. وطياراتهم وأموالهم ، لعلهم يفوزون بطرابُلُسَ مستعمرةً لهم ، ولكنهم وجدوا هناك رجالاً أشداء ، كانوا كثيرا مايتنازعون ، ولكن دخولُ العدوِّ ديارهم وتعدِّيه على أعراضِهم وأموالهم ، وشرفِهم واستقلالهم ، جَوَّلَهم من جماعاتٍ متفرقين وخُصومٍ متنازعين ، إلى أُمَّةٍ متعاضِدة متماسِكة ، مترابطة متساندة فحاربُوا الطليانَ

بضع عشرة سنة . ولا زالوا يحاربون ، فما نال العدو منهم إلا قُرى السَّواحِل . ولم ينل شيئًا من الداخِـل . مع تهديده فى كلِّ ساعةٍ ولحظة ، وخوفِه على نفسِه من الغفلةِ والمرَّة ، فهذه الأمة إنما كوَّنتها الشدائد ، وجعلتْ من عددِها القليلِ جيشاً يحارِبُ أمةً سكانُها عشراتُ الملايين . ونحن معشرَ المِصْريين بين هاتين الأمتين من المشرقِ والمغرب ، فلماذا لا نَقْتَدِى بهم ، ونجاهدُ فى الله جهادهم ، ونصبر على البأساءِ والضرَّاءِ صَبْرَهم ، حتى يأتينا النَّصرُ المبين « ولا تهِنوا ولا تحزَنُوا وأنتم الأعلَوْن إن كنتُمْ مؤمنين . إن يَمْسَسْكم قرحٌ فقدمَسَّ القومَ قَرْحٌ مثله ، وتلك الأيامُ نداولها بين النَّاسِ ، ولِيَعْلَمَ اللهُ الذين آمنوا ويتخذَ منكم شهداء ، والله لا يحب الظالمين ولِيُمَحِّصَ اللهُ الذين آمنُوا ويَمْحَقَ الكافرين ، أم حَسِبتم أن تدخلُوا الجنَّةَ ولمَّا يَعْلَمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويَعْلَمَ الصابرين »

روى أبو يعلى والطبرانىّ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ عينان لا تَمَسُّهُما النارُ أبدا ، عينٌ باتَتْ تكلا فى سبيلِ الله ، وعينٌ بكتْ مِنْ خشيةِ الله

١٤

السعادة فى التمسك بالدين — وصف حالنا

الحمد لله بعزتِه يعتزُّ المؤمنون ، و بتوفيقِه وعنايتِه يهتدى الضالون ، الحمد لله يمدُّ بنصرِه من اعتصم بحبلِهِ المتين ، وكتابه المبين ، وسنةِ رسوله الأمين ، ويخذلُ من طغى و بغى ، واستكبر فى الأرضِ بغيرِ الحق ، وقال : مَن أشدُّ منا قوة ، أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشدُّ منهم قوة ، أولم يَرَوْا أن الله زَلْزَلَ مُلْكَهم بعد أن كان ثابت الدعائم ، راسخ القوائم ، أولم يَرَوْا أن الله أهلك مَن هو أشدُّ منهم بطشاً ، وأكثرُ عَدَداً وعُدَداً ، أشهد أنه الإله وحده ، يرفع أمما موضوعة

وبيضاء أخرى مرفوعة « ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ من ينصرُه إن الله لقويٌّ عزيز » وأشهد أن محمدا عبدُه ورسولُه ، ارتسم الحقُّ سبيلا ، واتخذ الاخلاص خليلا ، فانتصر جندُه ، وانهزم عدوُّه ، وتمت له الكلمةُ على الظالمين ، وكذلك يَجْزِى الله المحسنين ، فصلواتُ اللهِ وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين لم يَخْشَوْا فى الحقِّ لومةَ لائم ولم يرهبوا صولةَ صائل ، ولم يخدعْهم وعد كاذب ، بل آثروا إرضاءَ الربِّ الباقى ، على إرضاء العبدِ الفانى ، وجعلوا الحقَّ فوق رءوسهم ، والباطل تحت أقدامهم ، وكذلك يفعل المخلصون

« أما بعد » فان سعادتَنا فى أن نكون بهذا الدين عاملين ، وشقاوتَنا فى أن نكونَ عن طريقه منحرفين ، عزُّنا أن يكونَ اللهُ معنا ، ذلُّنا أن يكونَ الله علينا « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » فهل أنتم متقون محسنون ، حتى يكونُ الله معكم ؟ إن سخط الله على من ترك كتابَه وسنةَ رسولِه ، أفلستم عن القرآن معرضين ، أفلستم للسنةِ تاركين ، وبالبدع عاملين

قومى قومى ، توبةً توبة ، ورجوعاً إلى الله رجوعا ، واعتصاماً بالقرآن ، وتمسكا بسنةِ خيرِ الأنام ، قبل أن يَحُلَّ بنا عذابٌ لا قِبَلَ لنا به ، قبل أن تنزلَ بنا مصائب ، ليس لها من دونِ اللهِ من واق

كفى يا قوم ما نحن فيه من الذلِّ لغيرنا ، والعبوديةِ لمن لا يدين بديننا ، من لا يحترمُ لنا كلما ، ولا يَرْعَى فى مصالحِنا عهودا ولا ذمما ، يحب المالَ حبا جَمًّا ، ويَدُكُّ فى سبيله استقلالَنا ومجدنا دكا دكا ، أهذه الذِّلةِ وذلك الصَّغارِ خُلِقْتُم أم على العزةِ والحرية فُطِرْتم « منذ كم يا عمرو تعبَّدتم الناسَ وقد ولدتهم أمَّهُم أحرارا »

كفى ياقوم ما نحن فيه من تفرقِ الكلمة ، وانصداعِ الوحدة ، وشتات الشمل واختلافِ الأمر ، ما نحن فيه من السعى وراء الغايات الشخصية ، وإن كان فى ذلك

معصيةُ إلهنا ، وضياعُ بلادِنا ، والقضاء على مصالحنا ، ما نحن فيه من تزلفٍ ونفاق وتنابذٍ وشقاق ، وترويجٍ للباطل ، وتمويهٍ للحقائق

كفى يا قومِ ما نحن فيه من عقاراتٍ للأجانب مرهونة ، وبيوتٍ فى الديون محبوسة ، وشركاتٍ أجنبية تمتص ثروةَ البلادِ امتصاصاً ، وتقضى على استقلالِنا المالى قضاء ، ومصائدَ للحمام نُقْبِر فيها أموالَنا بأيدينا ، غير مراعين للدين حرمة ، ولا لله عهدا ولا ذمة

كفى يا قومِ بيوتٌ للزنى مُفَتَّحَةُ الأبواب ، مُسَهَّلَةٌ للزوار ، تُنْتَهَكُ فيها الأعراض ، وتراق فيها مياهُ الحياء ، وينتزع فيها ثوبُ الايمان ، ويوأد فيها البنات والغلمان

كفى ياقومِ حاناتُ الخمور ، تُباعُ فيها العقول ، ويُشْتَرَى منها الجنون ، بخير ما اكتسبتم من مال ، وما تحصلتم عليه من ثروة ، ثم بعدَ ذلك يُذْهبُ بهذه الأموالِ إلى الدولِ الأوروبية ، فتصوغُ منها المدافعَ ، وتعمل منها القنابل ، لترمي بها فى صدورِنا ، وتسلبَ ما بَقِيَ من مُلْكِنا

فمتى يا قومِ تعقلون ، ومتى يهدى القرآن تهتدون « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين »

أخرج الطبرانىُّ وابنُ حِبَّانَ والحاكم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : ستة لَعَنْتُهُم ولعنهم الله وكلُّ نبىّ مجابِ الدعوة ، الزائدُ فى كتابِ الله والمكذبُ بقدر الله ، والمتسلط على أمتى بالجبروت ، ليُذِلَّ من أعز الله ، ويُعِزَّ من أذل الله ، والمستحلُّ حرمَ الله ، والمستَحِلُّ من عِتْرَتِى ما حَرَّمَ الله ، والتارك لسنتى

١٥

فى العمل . النفاق

الحمد لله الذى جعل العملَ للقول قرينا ، وعدَّ النفاق إثماً كبيراً ، وذنباً عظيما الحمد لله الذى يرى بواطنَ الأشخاصِ كما يرى ظواهرَهم ، يعلمُ ما يُسِرون وما يُعْلنون ، بل يعلمُ السرَّ وأخفى ، أشهد أن لا إله إلا هو ، يعلمُ المنافقين وكلامَهم الحلو ، وعملَهم المر ، وأخلاقَهم السيئة ، وطَوِيَّتَهم الفاسدة ، يدَّعون بألسنتهم أن لهم فى العلم درجةً عظيمة ، وفى العملِ الصالحِ سيرةً حميدةً ، حتى إذا فتَّشْتَ عن قلوبِهم ، وبحثتَ عن أعمالهم ، وجدتَ قلوباً خاويةً من الايمان ، وأعمالا تُغْضِبُ الديان ، وما ربك بغافل عما يعملون ، وأشهد أن محمدا عبدُه ورسولُه لم تغرَّه الظواهر ، ولم تَفْتِنْهُ الكلماتُ الخوادع ، بل كان يضعُ الناسَ حيث وضعتهم أعمالهم ، فالعاملون مقرَّبون ، والمنافقون مبعدون ، « ولكلٍّ درجاتٌ مما عملوا وليُوَفِّيَهم أعمالَهم وهم لا يُظلَمونَ »

« أما بعد » فان دينَنا ليس بدين أقوال ، ولكنه دينُ أعمال ، ليس بدين نفاق ، ولكنه دين إخلاص ، لا تهُمّنَّه الاحتفالات الظاهرة ، والقلوبُ خربةٌ فاسدة ، لا تَهُمَّنَّهُ أعيادٌ هى مواسمُ للفسقِ والفجور ، وملء البطون ، إنما تهمُّه أعيادٌ شكراً على طاعةٍ أدّيناها ، أو فريضةٍ قَضَيْناها ، أو نعمةٍ ساقها إلينا ، لا يهُمُّ الدينَ أن نلبس الثيابَ الفاخرة ، ونرمِيَ فى الجوّ بالنيرانِ المتطايرة ، إنما يهمُّهُ أن نَلْبَسَ لباسَ التقوى ، وأن نرميَ بنيراننا من يصدُّنا عن دينِنا ، أو يستبيح حمى بلادِنا ، نرمي بالنارِ الظَّلَمةَ الفجارَ ، والشياطينَ الضُّلَّال ، قمنا فى الأنديةِ خطباء مفوَّهين ، نُعَدِّدُ خيرَ الأفعال ، وجليلَ الأعمال ، وثمراتها الطيبة ومزاياها الخالدة حتى إذا ما أردنا العمل نَكَصْنا على العقِب ، لا نَفْسٌ زكيةٌ تعمَل ، ولا إرادة

قوية تنفذ ، بل إذا وُجدت فينا الارادةُ القوية ، ولَوَّحَ لها العدوُّ بالأصفر الرنان خانت العبادَ والبلاد ، وقالت المال المالَ ، وتأكلون التراثَ [١] أكلا لمّا ، وتحبون المالَ حبا جمّا [٢] آه غرتكم الدنيا وزخارفها ، وفضتها وذهبها ، ونسيتم ربّا هو مصدرُ كلّ نعمةٍ وعطيةٍ ، نسيتم ربا لو قطع عنكم مددَه لحظة ، لما كان لكم وجودٌ على ظهرِ الأرض ، ألا إن الأموالَ فانية ، واللذاتِ زائلة ، وما عند الله خيرٌ وأبقى لمن آمن وعمل صالحا

يا أمة الكلام ، كفى ما قلنا وسمعنا ، فعلى أيّ الاعمال عزمنا ، هل عزمنا على أعمالٍ تحْيَى بها نفوسُنا ، وينتفع بها قطرُنا ، ويرضاها ربُّنا وإلهنا ، أم لازلنا عن العملِ الصالح ناكصين ، وللكسلِ واللهو مفضلين ، حرام حرام أن تذهبَ الحياةُ فى القيلِ والقال ، والمناقشةِ والجدال ، حرامٌ حرامٌ أن تسير الأمم كل يوم الى السعادة خطوات ، ونتأخر عنها كل ساعة مسافات ، حرامٌ حرامٌ أن تبحث الأمم عما يرفعها ويُسْعِدُها ، وأمتُنا تسيرُ وراء مايحطها ويُشْقِيها ؟ فهيَّا بنا يا قوم إلى العمل ، فان فيه النجاةَ من الخطرِ والزللِ ، هيابنا إلى الأخلاق الفاضلة ، فانها ورَبِّكم الزادُ للدارِ الآخرة « وقل اعْمَلوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالمِ الغيب والشهادةِ فينبئُكم بما كنتم تعملون »

أخرج البخاريُّ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال أخذ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال : كن فى الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ . وكان ابن عمر يقول : إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح . وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء . وخذ من صحتك لمرضِك ومن حياتِك لموتِك : وروى الترمذى عن عبدِ الله بن بُسْرٍ قال : قال رسول الله ﷺ خيرُ الناس من طال عمرُه وحَسُنَ عملُه — قال الترمذى هذا حديث حسن

(١) المال الموروث (٢) كثيرا

١٦

اتباع الكتاب والسنة

الحمد لله الذى هدانا لدينه القويم ، و بيّن لنا صراطه المستقيم ، وأنه قرآنٌ ناطق وسنةٌ بينةٌ قائمة ، الحمد لله يهدى اليه من أناب ، و يُبَصِّر دينَه أولى الألباب « إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد » « إنما يتذكر أولو الألباب » أشهد أنه الاله وحده ، بيده لابيد غيره الهدايةُ والتوفيق ، والارشادُ إلى خير طريق ، هو ربى لا إله إلا هوعليه توكلت وإليه أنيب ، وأشهدُ أن محمدا عبدُه ورسوله تركَنا على المَحَجَّةِ البيضاء ، والشريعةِ الواضحةِ الغراء ، التى من اعتصم بها هُدِىَ إلى طريق مستقيم ، ومن اعتصم بغيرِها ضلَّ سواء السبيل فصلواتُ اللهوسلامُه عليه وعلى آله وأصحابه الذين اهتدوا بهديه ، وساروا وراء سيره فدرّت عليهم الخيرات ، وأصبحوا فى الأرض حكامَها العادلين ، بعد أن كانوا فى جزيرةِ العرب الأدنَين الخاملين ، أسكنهم الله فسيح الجنات

« أما بعد » فان الله قد أكمل لكم دينَكم ، وأتم نعمتَه عليكم ، ورَضِىَ لكم الاسلامَ دينا ، فهل قمتم بواجباتِ دينٍ اختاره لكم ، هل بقرآنِه اقتديتم ، هل بسنةِ رسوله تمسكتم ، نهاكم القرآن عن الربا فأكلتموه ، حرم عليكم الزورَ فشهدتموه ، حَظَرَ عليكم القِمارَ فلعبتموه ، منعكم من الاسرافِ فآثرتموه ، بيّن لكم أن الغِيبةَ أكلٌ للحوم إخوانكم فقترفتموها ، وجعلتموها الحديث والسَّمَرَ فى النوادى ، والمجتمعات والقهاوي ، أمركم أن تكونوا إخواناً متحابّين ، وخلانا متناصرين ، فكنتم أعداء متنافرين ، غير متحابين ولا متعاونين ، لا يعينُ الأخُ منكم أخاه ، فيما فيه رفعتُه وعلاه ، لا يرشده إلى تقوى ، ولا يحثُّهُ على سلوكِ الطريق الأهدى ، بل كلٌّ منكم شغله ماله و بنوه ، وزوجتُه وأهلوه ، عن أن يتعلم دينا هو

أحبُّ الأديان إلى الله ، وأقربُ الطرق إلى محبتِه ورضاه ، شغلتكم عن قرآنٍ تتدبرون آياته ، وحديثٍ تتفهَّمُون مراميَه وإشاراته ، شغلتكم عن طاعةٍ هي نِعْمَ السرور المقيم ، والعزُّ الذي ليس فوقَه عز ، والسعادة التي ليس بعدها سعادة ، أمركم أن تكونوا أحرارا إلا من عبوديتِه ، وأن لا تكونوا خاضعين إلا لسلطانِه ، يا قوم يخاطبكم الملوك فتسمعون ، و يناديكم الحكام فتهرعون ، ثم بعد ذلك يخاطبكم رب العالمين ، ومن بيده خزائن السموات والأرضين ، فلا تسمعون ولا تجيبون فبأى حديثٍ بعد الله وآياته تؤمنون ، يدعوكم الرسولُ إلى مافيه صلاحُكم ، وعزكم وذكركم ، فتتصامُّون عن كلامِه ، وتُعرِضون عن مواعظِه وآدابه ، وتقولون « قلوبنا فى أكِنَّةٍ مما تدعونا إليه ، وفى آذانِنا وَقْرٌ (١) ومن بيننا و بينِك حجابٌ فاعْمَلْ إننا عاملون »

يا قوم أصبح الجهل فينا ناشراً أجنحتَه ، جهِلنا أمور الدنيا ، فانتشر الفقر فى ديارِنا ، وكادت الديون تذهب بممتلكاتنا ، جهلنا أمور الدين فخسرنا الآخرة ، وفقدنا العزة والسيادة فى حياتنا الراهنة « ومن أعرض عن ذِكْرِى فان له معيشةً ضنكا (٢) ونحشرُه يومَ القيامةِ أعمى ، قال ربِّ لِمَ حشرتنى أعمى وقد كنتُ بصيرا ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتَها وكذلك اليومَ تُنْسَى ، وكذلك نجزى من أسرفَ ولم يؤمن بآياتِ ربِّه ، ولعذابُ الآخرةِ أشد وأبقى »

يا قوم إن دينكم أسهلُ الأديان ، وهل هو إلا عبادةٌ بما رسمه الكتاب ، وفَصَّله خير الأنام ، هل هو إلا سعى فى منفعةِ الناس بقدرِ المستطاع ، واجتهادٌ فى منع الظلم عنهم والأضرار ، كما قال رسولنا : لا ضرر ولا ضِرار

فاتقوا الله عباد الله وتمسكوا بالكتابِ والسنة ، فان ذلك الطريقُ إلى الجنة

عن مالك رضى الله عنه أنه بلغه أن النبى ﷺ قال : تركت فيكم أمرين لن تضِلُّوا ما تمسكتم بهما ، كتابَ اللهِ وسنةَ رسوله ﷺ

(١) ثقل (٢) ضيقة

١٧

خطبة فى فضل الاسلام

الحمد لله شرع الاسلامَ فسهّل شرائعَه لمن وردَه ، وأعزّ أركانه على من ناوأه ، وجعله أمناً لمن لاذ إليه ، وسِلْما لمن دخل فيه ، و برهاناً لمن اعتصم به ، أشهد أنه ربُّنا و إلهُنا ، الذى لا نعبد غيرَه ، ولا نستعين بما سواه ممن خلقه ، وأشهد أن محمداعبده ورسوله ، جاء بالنورالساطع ، والبرهان القاطع ، والهداية التامة ، والسعادةِ العامة ، صلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه الذين اعتصموا بحبل الله المتين وكتابه المبين ، ففازوا بالثوابِ المقيم ، فى جناتِ النعيم

« أما بعـد » فان الدين عند الله الاسلام ، من اعتز به فقد عز ، ومن اعتز بغيره فقد ضل ، من استضاء بنوره هُدِى إلى صراطٍ مستقيم ، ومن طلب النور فى غـيره أخطأ سواء السبيل ، دينٌ ضمِن لمن اتبعـه العزّة والسعادة ، والسيطرةَ والسيادة « ولله العزةُ ولرسولِه وللمؤمنين» دينٌ علاسائرَ الأديان ، وفَضل صاحبهُ الأنبياء الـكرام ، دين أمرنا بالمحبة والاخلاص ، والسعى فى مصالح الناس ، وطهارة النفوس من الأخلاق الذميمة ، والأعمال القبيحة ، دين أمرنا بالاقتصاد فى حياتِنا الراهنة ، واتخاذها مزرعةً للآخرة ، دين عمِل به آباؤُنا الأولون ، وأسلافُنا الصالحون فكان لهم ما كان من عز رفيع ، ومجد عظيم ، ومُلْكٍ واسع ، وحياةٍ طيبة ، ونفوس طاهرة ، وكلمة نافذة ، قوّى من عزائمهم حتى زلزلوا عروشَ الممالك ، بل قوّضوا دعائمها ، وأزالوا معالمَها ، وأصبحت لهم الـكلمةُ فى الشرق وفى الغرب « ولينصرنّ اللهُ من ينصرُه إنّ الله لقوى عزيز » دينٌ لا تطلب سعادةً إلا وجدتَها فيـه ، ولا خـيراً إلا وجدتَ سبّاقاً إليـه ، ولا تَـكْشِفُ مخبوءا فى الـكون إلا وجدتَه منبها عليه ، فدينٌ هذا شأنُه ووصفُه ، وهذه تعليماته ومقاصدُه ، يجب أن تخضعَ

له النفوسُ ، وتعملَ على نصرتِه وإعزازِه . وتأخذَ بآدابه وأخلاقه

أيها المسلمون ، إنَّ دينَكم خيرِ الأديان جميعها ، فكما أمرنا بالإيمان بمحمد أمرنا بالإيمانِ بموسى وعيسى . ومن سبقَهم من الأنبياء ، وكما أمرنا بأن نؤمنَ بالقرآن طلب منا الإيمان بالتوراةِ والإنجيل ، وما سبقها من الكتب السماوية « قولوا آمنَّا باللهِ وما أُنْزِلَ إلينا وما أُنْزِلَ إلى إبراهيمَ و إسماعيلَ و إسحاقَ و يعقوبَ والأسباطِ (١) وما أُوتِيَ موسى وعيسى وما أُوتِيَ النبيون من ربِّهم ، لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مُسْلِمون » فلتحمدوا اللهأن اختارَ لكم هذه الملة الحنيفية ، والشِّرعةَ المحمدية وليكن الحمدُ بالعمل والجَنَان ، لا بالقولِ واللسان ، فان مخالفة الظاهر للباطن آيةُ النفاق ، والمنافقون فى الدركِ الأسفلِ من النار ، فخذوا الزادَ ليومِ المعاد « واتقوا يوماً تُرْجَعُون فيه إلى الله ، ثم تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وهم لا يظلمون »

روى مسلمٌ عن أبى هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : والذى نَفْسُ محمدٍ بيدِه لا يَسْمَعُ بى أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانى ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذى أُرْسِلْتُ به إلا كان من أصحاب النار

وأخرج مسلمٌ عن صُهَيْبِ بنِ سِنان رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : عجباً لأمر المؤمن إن أمرَه كُلَّه خير ، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابَتْه سَرَّاء (٢) شَكَرَ ، و إن أصابته ضراء (٣) صَبَرَ ، فكان خيرا

١٨

الاخلاق وأثرها

الحمد لله نرجوه التوفيق لمكارمِ الأخلاق ، ونستغفرُه ونتوبُ إليه من الشقاقِ والنفاقِ ، ونشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، مثالُ

(١) أولاد أولاد يعقوب (٢) مسألة سارة (٣) حاجة تضره

الكمالاتِ النفسية ، والسرائر الطاهرة النقية ، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وصحبه ، الذين ارتسموا طريقه ، وسلكوا سبيله ، فحَيُوا حياةً طيبة ، وعاشوا عيشةً راضية ، وما عند الله خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وكانوا يتقون

« أما بعد » فان كرمَ الأخلاقِ أساسُ هذه الشريعةِ وعمادُها ، وغايتُها وغرضُها ، فلا دين لمن لا خُلُقَ له . ولا خُلُقَ لمن لا دينَ له ، هذا ندبنا القرآنُ إلى الأخلاقِ الفاضلة . والسجايا الطيبة ، والشيم العالية ، ونهانا عن سَفْسَافِها وذميمها وسيئها وفاحشها ، فتراه يقول « إن الله يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذى القربى وينهى عن الفحشاءِ والمنكر والبغى » ويقول « وَمَنْ أحسنُ قولا ممن دعا إلى الله وعمِلَ صالحاً ، وقال إننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنةُ ولا السيئةُ ادفع بالتى هى أحسنُ ، فاذا الذى بينك وبينه عداوةٌ كأنه وَلِيٌّ حميم (١) » ويقول حكايةً عن لقمان « يا بُنَىَّ أقم الصلاةَ وَأْمُرْ بالمعروفِ ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور (٢) ولا تُصَعِّرْ خدَّك للناس (٣) ولا تَمْشِ فى الأرض مرحا (٤) إن الله لا يحبُّ كل مختالٍ فخور ، واقصِدْ (٥) فى مشيك واغضُضْ من صوتِك ، إن أنكر الأصواتِ لصوتُ الحمير » ويقول فى موضع رابع « خذ العفوَ (٦) وَأْمُرْ بالعرف (٧) وأعرض عن الجاهلين » ويحثنا على الاقتصادِ فى موضع خاص إذ يقول « ولا تجعلْ يدَك مغلولةً إلى عنقِك ولا تبسُطْها كلَّ البسطِ فتقعد ملوماً محسوراً (٨) » ويأمرنا بحفظ الأمانة ، والعدالةِ فى الحكومة فى قوله (إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ، وإذا حكمتم بين الناسِ أن تحكموا بالعدل إنَّ اللهَ نِعِمَّا يعظكم به ، إن الله كان سميعاً بصيراً) إلى غير ذلك من الآيات التى كانت قدوةَ الرسول فى خلقِه وعملِه ، وسيرته وسيْره ، قلت السيدة عائشة وقد سئلت عن خُلُقِ الرسول : كان خُلُقُه القرآنَ

(١) صديق قريب (٢) واجبها (٣) لاتتكبر عليهم (٤) بطرا — سوء احتمال النعمة
(٥) اعتدل فيه (٦) السهل (٧) بالمعروف (٨) منقطعا عن المال

obeikandl.com

بمثل هذه الأخلاقِ قام هـذا الدين ، وسار سلفُنا الصالح ، وأتت لهم الدنيا صاغرة ، والأممُ خاضعةَ طائعـة ، بمثل هذه الأخـلاق امتد سلطانُنا فى مشارقِ الأرض ومغاربها ، وأصبحت لنا الكلمة بين الأممِ جميعها ، بمثل هذه الأخلاق أقبل الناسُ إلى الدخول فى دين الله أفواجاً ، وأسرعوا إلى مبادئه الحقَّةِ إسراعا

كُنَّا للدين فكان لنا ، وكنا للأخلاقِ حِصْناً ، فكانت لنا جنـدا وعزا ، وكنا للقرآن مُبَجِّلين ومُتَّبِعين ، فكان لنا منه النصرُ المبين ، فلما أن تركنا الدين والقرآن جانبا ، وهدمنا من الأخـلاق قائما ، ولَّت عنا الدنيا هاربة ، وامتلـكت نواصيَنا الأممُ الـكافرة ، وأصبحنا فى بلادنا أذلاء ، وفى ديارِنا غُرباء ، فلا حولَ ولا قوة إلا بالله

فمتى نستفيقُ من هذه الغفلة ، ونقوم من تلك الرقدة ، ونجعل لنا من رسول الله أسوة حسـنة ، فى أخلاقه وكمالاته ، وأعمالِه وحسناته ، فاتقوا الله عباد الله ، وآثروا الطيبات الباقيـة ، على اللذاتِ الفانية « وقل اعملوا فسـيرى الله عملـكم ورسوله والمؤمنون وستُرَدُّون الى عالم الغيبِ والشهادة فيُنَبِّئكم بما كنتم تعملون »

أخرج أبو داود والترمذيُّ وصححه عن أبى الدرداء رضى الله عنـه ، قال قال رسول الله ﷺ ما من شىء فى الميزان أثقلُ من حُسْنِ الخُلُق

وأخرج مسلم عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ مانقصت صدقةٌ من مال ، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه

١٩

فى الاقتصاد

الحمد لله الذى جعـل طريق الاقتصادِ طريقا محمودا ، ولا تجعَلْ يدَكَ مغلولةً إلى عنقِك (١) ولا تبسُطْها كلَّ البسطِ فتقعدَ ملوماً محسوراً ، الحمد لله ضمِن لـكل

(١) مربوطة فى العنق بذل وهو القيد

نَفْسٍ أخذت في العملِ معيشتَها ، وما من دابة في الارض إلا على الله رزقُها ، ويعلم مُسْتَقَرَّها ومستودَعَها ، الحمد لله الرءوفِ الرحيم ، يرزقُ من أطاعه ومن عصاه ، وخالف أوامره واتبع هواه ، أشهد أنه الالهُ الحكيم ، لاشريكَ له في ربوبيته ، وملكه ووحدانيته ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدُه ورسولُه ، أمر بالاجمال في الطلب ، وأخبر بأن لكل امرئٍ ما كسب ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين ومن تَبِعَهُم باحسانٍ الى يوم الدين

« أما بعد » فان الاقتصاد في كل أمر سبيل الحياة الطيبة ، والعيشة الراضية ، والتقصيرَ في أداءِ الواجب ، سبب الهالك والمعاطب ، والاسرافَ في طلبِ المال وانفاقه ، مُتْعِبٌ للقوى ، مضيع للحقوق ، مُزْرٍ بالمرء بين إخوانه وخلاّنه ، فالعاقلُ من اقتصد في كل شأنِه ، قوّتِه ووقتِه ، وماله وعقلِه

فيا صاحب المال الكثير ، ويا صاحب المرتب الكبير ، اقْتَصِدْ مما في يدك من المال ، اقتصد منه في السَّعَة والرخاء ، ينفعك في الضيقِ والضراء ، اقتصد منه في شبابك وصحتِك ، ينفعْك في كبرِك ومرضك ، وَفِّر من مالك وأنت في الوظيفة ينفعْك إذا أحلت على المعيشة ، يا صاحبَ المالِ الوفير ، لا تكن كنوزا شحيحا ، حريصاً على المالِ به بخيلا ، تفرح لِمَلْءِ خزينتِك ، ولا تهتم بشؤونِ ولدك وزوجتِك ترى الفقراء والمساكين يكادُ الجوعُ يُميتهم ، وليس لك من قلبٍ يرقّ لحالهم ، ولا من يدٍ تمتد إليهم ، بل قلوبٌ قاسية ، وطباعٌ جافية ، ألن قلبك بالايمانِ والعملِ الصالح وأنفق على البائسين مما خوّلك الله ، أنفقْ على موضع سرّك وقُرَّةِ عينك ، زوجتِك وولدِك « وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »

يا معشر الشبابِ وهبكم الله صحةً وقوة ، فلا تسرفوا فيما خوّلكم ، ولا تعطّلوا ماوُهِبْتُم ، لاتضيعوا شبابكم في دورِ الفسقِ والملاهي ، ولاتُضْعِفُوه بالخمور ، والانغماس في الفجور ، ولا تكونوا نياما كُسالى ، فتعطلوا موهبةً من أجلِّ المواهب ، وقوةً من أكبر القوى في بناءِ الأمم والدول

يا طالب العلم ، اقتصدْ فى وقتك وعقالك ، فلا تسهرَ السهرَ الطويل ، وتظن أن ذلك مجلبةُ الخير الكثير ، تتعب عينَك ، وتؤلمُ جسمك ، وتُجْهِدُ عقلك ، لتحصل بعضَ العلوم ، و يعلم الله أنك بإسرافك فى قواك ، أخرت نفسك مراحل ، وفقدت من أسبابِ العلوم موارد ، وأنك أضعت فوقَ ما كسبت ، فلا تُهمِلْ درسَك إهمالا ، ولا تُجْهِدْ نفسك إجهادا ، ولكن اسلك من بين ذلك طريقا وَسَطاً فان التوسُّطَ فى كل شئٍ محمود

أيها التاجر ، لا تَنْهَمِكْ فى تحصيل الأموال ، حتى تُنْسِيكَ الحقوقَ والواجبات تُبَكِّر إلى متجرِك ، عينك غامضة ، ونفسُك عن العبادة لاهية ، تطلب من الله الامدادات ، ولم تؤدّ الفروض والواجبات ، تطلب من الله نصيبَك من الرزق ، ولم تؤدِّ له نصيبَه من الشكر ، يناديكَ داعى الله ، حَيَّ على الصلاة . حَيَّ على الفلاح وأنت لندائه لا تجيب ، ولداعى الهوى والشيطان مُجيب . استغرق قلبك حبُّ المال ، فلم يَبْقَ فيه مُنْفَسَحٌ لحبِّ الواحدِ القهار ، فمتى تَعْرِفُ لكلٍّ واجبَه وتؤدِّى لكلِّ صاحبِ حقٍ حقَّه

فاتقِ الله واسلُكْ سبيلَ الاقتصاد ، ودَعْ عنك التقتير والاسراف ، فان كِلا هذين إن دام قتل « وَمَنْ يتقِ الله يجعلْ له مخرجاً ويرزقْه من حيثُ لا يحتسب، ومن يتوكلْ على اللهِ فهو حَسْبُهُ إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدرا »

عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضى الله عنه قال آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء فزار سلمان أبا الدرداء فرأى أمّ الدرداء متبذِّلة فقال: ماشأنُكِ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجةٌ فى الدنيا فجاء أبو الدرداء فصنَعَ له طعاماً فقال له : كلْ فانى صائم قال : ما أنا بآكل حتى تأكلَ فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم فقال له : نم فنام ثم ذهب يقوم فقال له : نم فلما كان آخرُ الليل قال سلمان : قم الآن فصلّيا جميعا فقال له سلمان : إن لربِّك عليك حقا و إن لنفسك عليك حقا ولأهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال النبي ﷺ صدقَ سلمان — رواه البخارى

٢٠

ترادف نعم الله علينا مع عصياننا

الحمدُ لله برحمتِه يتراحمُ عبادُه المؤمنون ، و بتوفيقِه وهدايتِه يرتجعُ الظالمون الحمدلله يعلمُ المصلحَ من المفسد ، و يجازى كلاً بما كسب أو اكتسب : وهل تُجْزَوْن إلا ما كنتم تعملون ، أشهد أن لا إله إلا هو ، يعلم ما تسرون وما تعلنون ، يعلم ما وعدتم فأخلفتم ، وما عاهدتم فوفَّيتم ، لا تَخْفَى عليه خافية ، ولا تُعْجِزُه نفسٌ عاصية ، لا إله إلا هو وَسِعَ كل شيء علما ، بيده ملكوتُ كلِّ شيء و إليه تُرْجَعُون ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبدُه ورسولُه ، أرشدكم إلى الحق فلم تَرْشُدوا ، و بيّن لكم طريقَ الهدايةِ ولم تسلكوا ، وفتح لكم باب التوبة ولم تدخلوا ، أصلح اللهُ شأنكم ، و بَصَّركم عيوبَكم ، ووفَّقكم إلى هَدْيِ نبيكم ، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله الأطهار ، وأصحابه الأخيار ، ومن تبعهم باحسان

« أما بعد» فان طريقَ الخير واضحٌ بيّن ، وطريقَ الشرِّ ظاهرمظلم ، والانسان منا مرهونٌ بالطريقِ الذى يسلكه ، فان سلك سبيلَ الخير فالنجاةُ والفلاحُ ، وان سلك الشر فالخيبةُ والهلاك ، فانظروا أهل مِصْرَ أيَّ الطرقِ تسلكون ، وأيَّ الأبواب تدخلون ، أراكم بالأشرار تقتدون ، وعن طريق الأخيار تعدلون ، أراكم تعملون على إرضاء الأغنياء المُثْرِين ، ولا تعملون لارضاء ربِّ العالمين ، مَنْ نِعَمُه عليكم متواترة ، وخيراتُه إليكم متكاثرة ، هل حصدتم الحزازات والعداوات من قلوبكم ، أم لا زالت أشجارُها تتفرعُ فى نفوسِكم ، وتُسَمِّدُونها بشروركم ، هل أقمتم الصلوات ، هل أخرجتم الزكوات ، هل أقلعتم عن السيئات ، هل اهتديتم بما هداكم الصادق الأمين ، هل تراحمتم كما رحمكم الرءوف الرحيم ، يا أهل مِصرإن الله أمدكم بنهر يجرى من تحتِكم ، وإن كان منبعه فى يد غيركم ، نهر يَرْوِى نفوسَكم وحيوانكم

يَرْوِى أرضكم ، ويحمل سفنَكم ، فتسير بمتاعِكم إلى بلاد لم تكونوا بالغيها إلا بشق الأنفس ، أسكنكم أرضا خصيبة ، ومساكن جميلة ، وجعلكم من القارات فى مركزِها ، ومن الدنيا فى سُرَّتها ، فهل شكرتم لله هذه النعمَ المتوالية ، والخيرات المترادفة ، أم شغلكم النعيمُ عن الواجب ، وقلتم كما قال فرعون : أليس لى مُلْكُ مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى ، أفلا تبصرون ، نعم لقد شُغِلْتُم عن الواجب وانهمكتم فى اللذات ، والشهوات والأعمالِ السيئات ، فأنى أرى نفوساً ملأها النفاق وأكثرت من أيمان الفجورِ والطلاق ، وفرحت بصحبة الفساق ، أرى الجارَ لا يَرْعى جاره ، ولا يحفظُ له حقَّه ومالَه ، بل أول ما يتطاير شررُكم ، يَحْرِقُ دورَ جيرانكم أهذه وصيةُ نبيكم ، الذى كاد يُوَرِّثُ جارَكم من أملاكِكم ، الحقُّ بينكم مهضوم ، والباطلُ فيكم مرفوع ، الفقير بينكم موضوع ، والغنى فيكم مرفوع ، الرئيسُ بينكم مُحْتَرَمٌ مطاع ، والربُّ حقوقه تَضَاع ، خلطتم الصالح بالطالح ، فبينما تعملون لاسعادِ البلاد ، إذا بكم تمالئون شرَّ العباد ، بينما تَسْعَوْن فى الخيرات ، إذا بكم تختلسون حقوقَ البنين والبنات ، وتمُدُّون الأيديَ لأخذ الرشوات ، بينما تسبحون وتصلون إذا بكم لأموال اليتامى تغتالون ، بينما تخرج من أفواهكم كلماتٌ طيبة ، إذا بقلوب العداوةُ فيها مُوقَدَةٌ ، فمتى تقيمون حقوقَ الله ، ومتى تَرْعَوْن حرماته ، وتفعلون طاعاته ، متى تستكينون لربِّكم ، وتعبدونه من دون رؤسائِكم وأموالِكم ، متى تكون التقوى فيكم ميزان الرجال ، دون الجاه والأموال . يا قوم إنى لكم ناصح أمين ، أحذركم نتيجة الطغيان ، وأنذركم مَغَبَّةَ سيئ الأعمال ، أعلمكم بأن اليوم ما بعده ، وأنكم ان نصرتم الله نصركم ، وان أعززتم دينَه أعزكم ، وان أخلصتم له أنا لكم استقلال بلادكم ، ونزع عدوكم من أرضِكم ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، فاسمَعوا واعمَلوا ، وقولوا وافعلوا « وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزوَّدوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا أولى الألباب »

روى أحمد والترمذى عن أبى كبشة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : إنما الدنيا لأربعة نفر ، عبد رزقه الله مالا وعلما ، فهو يتقى فيه ربَّه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلمُ لله فيه حقا ، فهذا بأفضل المنازل ، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا ، فهو صادق النية يقول : لو أن لى مالا لعملتُ بعمل فلان ، فهو بنيَّته فأجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما ، يخبط فى مالِه بغير علم ، ولا يصلُ فيه رحِمَه ، ولا يعلم لله فيه حقا ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبدٌ لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول : لوأن لى مالا لعملتُ فيه بعملِ فلان ، فهو بنيته فوِزرهما سواء

٢١

لمن جند الله ؟ صلاح الأعمال شرط إجابة الدعاء

الحمد لله لعزته خضعت رقابُ الملوكِ الجبابرة ، ولبطشِه وقوّته ضعفت تلك الجيوشُ المتكاثرة ، والأساطيلُ المتغالبة ، الحمد لله يُمهِلُ الظالمين ولا يُهْمِلُهم ، ويكتبُ ماقدّموا ولا يتركُهم ، ثم لهم يومٌ أسودُ من الليلِ البهيم ، وعذابٌ دون عذابِ الجحيم ، لهم يومٌ يُمَكَّنُ فيه المظلومين من رقابِهم ، حتى يستوفوا جميعَ حقوقِهم ، لهم يومٌ يكونون فيه أذلاء صاغرين ، فى الدركاتِ السفلى مقيمين ، لاإله إلا هو بيده مقاليد السمواتِ والأرض ، وإليه مرجعُ شؤونِ الخلق ، يُقَلِّبُ الليلَ والنهار ، ويُغَيِّرُ الأحوال ، قائم على كل نفسٍ بما كسبت ، ومجازيها على مافعلت وأشهد أن محمدا عبده ورسوله انتصر بعد ظلمِه ، وفاز على خصمه ، مكافأةً له على صبرِه ، وامتثاله لأمر ربه ، فصلواتُ الله وسلامُهُ عليه ، وعلى آله وصحبِه ، ومن سلكَ مسلكهم ، وارتسم طريقتَهم ، واتّبع سنتَهم

« أما بعد » فان لله قوةً لا تُقاوَم ، وسلطاناً لا يُدافع ، وجيشا لا يُكسَر ، وأُسطولاً لا يُقهَر ، دونه تفنى جميعُ القوى ، وأمامَه تَضمَحِلُّ جميعُ القُدَر ، ولكنَّ جيشَه لا يَمُدُّ به إلا من ظُلِم ، وكان على أمرِه ونهيه قائما ، وبكتابه عاملا ، وعلى سنةِ رسوله سائرا « ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ من ينصرُه ، إن الله لقوىٌّ عزيز ، الذين إن مكنَّاهم فى الأرضِ أقاموا الصلاة ، وآتَوُا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ، ونَهَوْا عن المنكر ، ولله عاقبةُ الأمور » ثلثمِائة وستون مليونا من المسلمين ، يدعون الله ليلا ونهارا ، سرا وجهارا ، ولكن كلامٌ غير مسموع ، ودعاء مردود ، فلماذا لا يُجابُ الدعاء ، لماذا لا نُنْصَرُ على الأعداء ، ألسنا مسلمين ، ألسنا مؤمنين ، ألسنا بالاجابة موعودين ، نعم مسلمون ، ولكن بالارث ، ومؤمنون ولكن بالاسم ، ونحن وإن وُعِدْنا إجابة الدعاء ، لكن أعمالُنا سيئة ، وقلوبُنا فاسدة ، ومعاملاتُنا جائرة ، فكيف يُستَجابُ الدعاء ، وكيف نُنْصَرُ على الأعداء ، إن أساسَ الاجابةِ صلاحُ الأعمال ، « إليه يَصْعَدُ الكلمُ الطيبُ والعملُ الصالح يرفعه » فمن صلحت أعماله أجيب دعاؤه ، ومن فسدت أعماله ردت دعواتُه ، فلا عجب أن نُخذَلوا فى مواطن كثيرة ، وأن يُسَلِّطَ الله عليكم من لا يرعى لكم عهدا ، ولا يحترمُ لكم كَلِما ، لا عجب أن نكونَ أذلاء فى الأرض ، بلادُنا مستعمَرةٌ للدولِ الأجنبية ، مادمنا لأوامر الهوى والشيطانِ مستمعين ، وفى الشهواتِ منغمسين ، ولربِّنا عاصين ، وعن قرآنه معْرِضين

يا هؤلاء إن كنتم تريدون السعادةَ فى هذه الحياة وفى الدار الآخرة ، فطريقُها بَيِّنٌ واضح ، أن تقصدوا إلى هذا القرآن فتتعلموه ، وإلى كلامِ الرسول فتعرفوه ، ثم تعملوا بما علمتم ، فان فعلتم ذلك أمدكم الله بما تحبون ، أمدكم بأنعام و بنين وجنات وعيون « استغفروا ربكم إنه كان غفارا يُرْسِلِ السماء عليكم مِدْرارا ، ويُمْدِدْكم بأموال و بنين ويجعلْ لكم جنَّاتٍ ويجعلْ لكم أنهارا » « من عمِل صالحا من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلَنُحْيِيَنَّه حياةً طيبة ولَنَجْزِيَنَّهم أجرَهم بأحسنِ ما كانوا يعملون »

أخرج مسلمٌ والترمذى عن أبى هريرةَ رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس إن الله تعالى طيب لا يَقْبَلَ إلا طيِّبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر [١] يمد يديه إلى السماء يا ربِّ يارب ، ومطعمُه حرام ، ومشربُه حرام ، فأنى [٢] يستجاب له بذلك

٢٢

بالجهاد حياة الامم . لذة النصر مدعاة الجد

الحمد لله يُحْيِى العظامَ وهى رميم [٣] ، الحمد لله يُعيدُ العزَّ والمجدَ القديم ، الحمد لله ينصرُ المجاهدين المجدّين ، الحمد لله يَنفُخُ فى الأمم من رُوحه ، فتحيَى بعد موتها ، وتستيقظُ بعد غفلتها ، وتقوى بعد ضعفها ، وتَجِدُّ بعد تكاسلها ، أشهد أن لا إله إلا هو الواحد القهارُ ، يؤاخذ الجبارين على ظلمِهم ، وينتقم للمستضعفين منهم فَيُزَلْزِلُ مُلْكَهُمْ ، ويُقَوِّضُ عرشَهم ، ويُسَلِّطُ عليهم عدوَّهم ، فيختلطُ عليهم التدبير ، ويختلفُ فيهم الرأى ، حتى يُؤْخذوا من حيث لا يشعرون « وما ربك بغافلٍ عما يعملُ الظالمون ، إنما يؤخِّرُهم ليومٍ تَشْخَصُ [٤] فيه الأبصار » وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله جاهد الباطلَ بسيفِ الحق ، معتصما بالثبات والصبر ، ففاز بالنصر بعد الجهادِ الطويل ، والتعب الشديد ، والتصدُّرِ لكلِّ جبار عنيد « سنةَ اللهِ التى قد خلت من قبلُ ولن تجد لِسُنَّةِ اللهِ تبديلا » صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين ذادوا عن حمى الحق ، وحاربوا أهل البغْىِ والعَسْف فأبدلهم الله من ضعفهم قوة ، ومن قلتهم كثرة ، ومن ذِلَّتهم عزة « ونريد أن نَمُنَّ

(١) أشعث متفرق شعر الرأس غبر متلبده . وأغبر لونه كالغبار — التراب — من تأثير السفر فيه
(٢) كيف (٣) بالية (٤) يقال شخص بصره إذا فتح عينيه وجعل لا يطرف

على الذين استُضْعِفُوا في الأرض ونجعلَهم أئمةً ونجعلَهم الوارثين ، ونمكِّنَ لهم في الأرض ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودَهما منهم ما كانوا يَحْذَرون »

« أما بعد » فان للحقِّ قوة ، وللباطل صولة ، ولابدّ بينهما من نزاع ، ولا مناصَ من جدالٍ بينهما وخصام ، وإذ ذاك يَعْتَزُّ الحقُّ ويَكْبُرُ شأنُه ، وتعلو كلمتُه ، ويَنْفُذُ أمره ، ويَخْسَأُ الباطلُ ويَنْهارُ بنيانُه ، ويخذلُه أنصارُه وأعوانُه ، فلا تجدُ له من قوةٍ ولا ناصر

هنالك يرتجفُ الظالمون ، ويرتعدُ الجبارون ، فتَخُورُ منهم القوى ، وتتحللُ العزائم ، ويستولى على نفوسهم الضعفُ والوَهَن ، وإذ ذاك يعلمون أن قوةَ الحقِّ من قوة الله ، وأن الباطل مهما كان مظهرُه فهو ضعيفٌ واه ، هنالك يفرحُ أهل الحقِّ بالنصر والظفر ، ويقولون : هذا ماوعدنا الله ورسوله ، وصدق الله ورسوله ، وما زادهم إلا إيماناً وتسليما ، هنالك يحمدون الله ويشكرون ، ويهللون ويكبرون ، ويقولون لا إله إلا الله والله أكبر ، ولاحول ولاقوةَ إلا بالله العلى العظيم ، الله أكبر إذا ارتفعت أعلامُ الحقِّ ، وخَفَقَتْ على الدور والقصور ، وتَنَكَّسَتْ أعلامُ الباطل ، واستولى عليه الضعفُ والفتور ، الله أكبر ، إذا امتلأت القلوب فرحاً وسرورا ، وصفقت الأيدى جذلا وحبورا ، وتلألأت الوجوه بالبشر ، من الصغار والكبار ، والنساء والرجال . الله أكبر إذا وقف الخطباء يُهَنِّئُون ، ويُذَكِّرُون الناسَ بفضل الله عليهم ويَمُنون ويَذْكُرون المجاهدين فى سبيل الله والمنفقين ، وينادون لهم بالحياة آمنين مطمئنين ، الله أكبر إذا غصَّت المساجد بالناس وماجت ، والتجأت النفوسُ إلى الله ونادت ، اللهم إنا نستنزلُ نقمتك وعذابَك للظالمين ، ونرجو منك المعونة للقوم المستضعفين اللهم إن القوم قد بَغَوْا علينا ، وسلبونا أموالَنا وحريَّتَنا ، وزعموا أنهم يخدمُون بلادَنا وأمتنَا ، اللهم أنت العليم بما نفوسهم ، الخبيرُ بما تُكِنُّ صدورُهم ، فجزاؤك الحقُّ لمن بغى ونافق ، وداهن وماذق ، فانك قلت فى كتابك « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى » . الله أكبر إذا سُمِعَ الدعاء وأجيب ، وخاب

كلُّ جبارٍ عنيد ، الله أكبر إذا طهُرت الأرض من الكفرةِ الفجرة ، وخلص أمرها للأتقياءِ البررة ، فلا تجد فيها إلا رئيسا مخلصا ، وإلا عاملا ناصحا ، لا تجد فيها إلا حكما عادلا ، وإلا دينا قيا ، لا تنظر فيها إلا قانون الشريعة ، ومن يُدْلِي إلى الناسِ بالوعظةِ والنصيحة ، إذا سرتَ فى شوارعها فالصنائع المختلفة ، والأيدى العاملة وإذا سرت فى أرضها الخِصبة وجدت جنات معروشات وغير معروشات ، فيها الفواكهُ الكثيرة ، والثمار المختلفة ، وإذا نظرت إلى صحاريها فمناجمُ محفورة ، وغاباتٌ منضودة ، وطرقٌ مشتبِكة ، على حدودها جندٌ أولو بأس شديد ، وأمرٍ رشيد . الله أكبر إذا انتشرت الحريةُ فى النفوسِ والصحف ، فأخرجت الأفكارُ الناضجةُ مكنونَها ، وباهت بمخترعاتها غيرَها ، وبُسِطَتْ المباحث ، فتبين غثُّها من سمينِها ، وصحيحُها من سقيمِها ، الله أكبر إذا عمّ الخير البلاد ، وانتشر الغنى بين العباد ، وتحررت النفوسُ من قيود الاستعباد ، واستنارت بنورِ العلمِ والعرفان ، هنالك حدِّث عن السرورِ ولا حرج ، واشكر لله ما أعطاك من فرج « وقل رب أوزعنى أن أشكر نِعْمَتَكَ التى أنعمت عَلَيَّ وعلى والديَّ وأن أعملَ صالحًا ترضاه ، وأصلح لى فى ذريتى ، إنى تبت إليك وإنى من المسلمين ، أولئك الذين نتقبل عنهم أحسنَ ماعملوا ، ونتجاوزُ عن سيئاتهم فى أصحابِ الجنة ، وعدَ الصدق الذى كانوا يوعدون »

روى البزارُ عن أبى هريرةَ رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ليلةَ أُسْرِيَ به أتى على قومٍ يزرعون فى يوم ، ويَحْصُدون فى يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال يا جبريل : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شىء فهو يُخلفه

٢٣

العمل — احترام القرآن — البدع

الحمد لله بذكرِه تَطْمَئِنُّ القلوب ، وبفضله ورحمته تُغْفَرُ الذنوب ، الحمد لله

أحصى كلَّ شئٍ عددا ، وأحاط بكل شيء علما ، يعلمُ مايَلجُ فى الأرض ومايخرجُ منها ، وما ينزل من السماءِ وما يَعرُجُ فيها ، وهو معكم أينما كنتم ، والله بما تعملون بصير ، أشهد أن لا إله إلا الله لا يَشْرَكهُ فى مُلْكِه أحد ، ولا يُحْصِى نعمَه عدد ، وأشهد أن محمدا عبدُه ورسوله ، أرسله الله رحمةً للعالمين ، ففتح به أعيُناً عُمْياً ، وآذاناً صُماً ، وقلوباً غُلْفاً ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، أهلِ البصرِ بالدين ، والعلمِ بكتاب الله المبينِ ، هداةِ الحق ، وأئمةِ الخلق ، أسكنهم الله فسيحَ الجنات ، وأغدق عليهم الرحمات

« أما بعد » فان الزرع اليوم ، والحصادَ في الغد ، فان زرعت خيرا فثواباً طيبا جَنَيْتَ ، وإن زَرَعْتَ شرا فالمرّ والعذاب حصدتَ ، إن عمِلتَ الصالحاتِ فأنتَ السعيد ، وإن انغمست فى الشهوات فأنت الشقىُّ المَرِيد ، عارٌ عليك يا مُسلِمُ أن تكون للهِ ودينِه عدوا ، وللشيطانِ صديقاً ووَلِيًا ، عارٌ عليك يا مسلمُ أن يخاطبك الناسُ فتسمعَ وتطيع ، ويخاطبُك رب الجميع فلا ترفع لكلامِهِ رأسا ، ولا تقيم للقرآنِ وزنا ، ولا تفتحُ له منك قلبا ، أبلغت منكم الآدابُ معشرَ المسلمين أن تقدموا العبد على سيِّدِه ، والمخلوقَ على خالقه ، أبلغت منكم الآدابُ أن تتأدبوا فى مجالس الأغنياء والرؤساء ، ولا تتأدبوا فى مجالس القرآن

يا معشرَ المسلمين مالنا أصبحنا نرى الحقَّ باطلا ، والباطلَ حقا ، جعلنا غيْرَ الدين دينا ، وجعلنا الدينَ غيْرَ دين ، جعلنا البدعَ والخرافاتِ طريقاً مسلوكا ، وسنةَ خاتم النبيين أمرا مهجورا ، نذرتم النذور لغير الله ، وعددتم ذلك صلاحاً وإحساناً ، وما يَعُدُّه الله إلا زوراً وبهتاناً ، وقمتم بالطبلِ والمزمارِ ، فى حفلاتِ الأذكار وظننتم أن ذلك يُقَرِّبُ إلى اللهِ قُرباناً ، وما يعتبره الله إلا ضلالا وطغياناً ، زرتم الأولياء والمشايخ لا للاتعاظِ والاعتبارِ بهم ، ولكن لدعائهم وتقبيل أعتابهم ، وتقديم العرائض لهم ، ونسيتم تلك الآيات « فادعُوا الله مُخلِصِينَ له الدين » « إيَّا ماتدْعُوا فله

الأسماء الحسنى » « إياكَ نعبدُ وإياكَ نستعين » عار عليك يا مسلم أن تدَّعِيَ أنك بكتاب الله عامل ، وأنت لأصول دينه تارك ، عار عليك أن تدَّعِيَ الاخلاصَ في التوحيد ، وقد أشركت في الدعاءِ معه العبيد ، « إن كلُّ مَنْ في السمواتِ والأرض إلا آتي الرحمنِ عبدا ، لقد أحصاهم وعدَّهم عدا ، وكلُّهم آتيه يومَ القيامةِ فرداً »

فاتقوا الله عبادَ الله ، واخشَوْا يوماً لا يجزِي فيه والدٌ عن ولدِه ، ولا مولودٌ هو جازٍ عن والدِه شيئاً ، يومَ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون ، إلا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليم ، يومَ لا يغني فيه مولًى عن مولًى شيئاً ، ولا ينفعُ الانسانَ إلا ما قدَّم من إيمانٍ متين ، وعملٍ مجيد « وأن ليسَ للإنسانِ إلا ما سعى ، وأن سعيَه سوف يُرَى ثم يُجزَاهُ الجزاء الأوفى »

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرّت عيناه ، وعلا صوتُه ، واشتد غضبُه ، حتى كأنه منذرُ جيش ، يقول : صبَّحكم ومسَّاكم ، ويقول : بُعِثْتُ أنا والساعةَ كهاتين ويَقرِنُ بين أصبعيه السبَّابةِ والوسطى ويقول : أما بعد فان خيرَ الحديثِ كتابُ الله تعالى ، وخيرَ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ وشرَّ الأمورِ محدثاتُها ، وكلَّ محدثةٍ بدعة ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة ، ثم يقول : أنا أولى بكل مؤمنٍ من نفسه ، من ترك مالاً فلأهله ، ومن ترك دَيْناً أو ضِيَاعاً فاليَّ وعليَّ

٢٤

في الحث على النكاح

الحمد لله الذي خلق من الماءِ بشرا ، فجعله نسبا وصِهرا ، الحمد لله الذي جعل في الزواج سعادةً وشرفاً ، الحمد لله يُعِينُ من استعان به على التقوى ، ويرفعهُ إلى

الدرجات العليا ،الحمد لله الذى خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة ، وتعاوناً ومحبةً وشفقة ، أشهد أنه الإله الحكيم ، الرءوف الرحيم، الذى يَشْرَعُ لكم ما فيه الصلاحُ والسعادة ، وأنتم عنه لاهون غافلون ، وأشهد أن محمدا عبدُه ورسولُه ، رغَّبَ فى النكاح ترغيباً ، وخوَّفَ ورهَّب من إهماله ترهيبا ، صلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين

« أما بعد » فان فى الزواج الراحةَ والسعادة ، وفى تركه العناء والشقاوة ، من أعرض عنه فقد خالف كتاب الله المبين ، إذ يقول : وأنكحوا الأيامى (١) منكم والصالحين ، من أعرض عنه فقد خالف سيدَ المرسلين ، إذ يقول : النكاحُ من سنتى فمن أحب فِطْرَتي فَلْيَسْتَنَّ بسنتى ، فى الزواج حفظ الفروج ، فى الزواج حفظُ العيون فى الزواج المحافظةُ على الأموال ، فى الزواج التعاون على شؤون الحياةِ العظام ، بالزواج تُوجَدُ الذرية الصالحة ، التى تَقَرُّ لرؤيتها العين ، ويَنشرحُ بها الصدر ، الزواج مَدْعاةُ الفرح والسرور ، به حفظُ النوع البشرىِّ من الفساد والفناء ، في الزواج المودةُ والرحمة والمحبة والألفة ، فى الزواج كل سعادة وهناءة ، فاذا كان هذا شأن الزواج وفضلَه ، ومكانتَه وشرفَه ، فما بالنا أعرضنا عنه ، وفضَّلنا العزوبة عليه ، قلدنا الأوربيين فى تركِ هذه الفضيلة ، ولم نُقَلِّدْ سيِّدَ الخليقة ، فضَّلنا ما بَغَّضَنا فيه الشرع ، على ما حثَّنا عليه ، وندَبنا اليه ، فياويلنا ويا شقاوتَنا ، إن لم نُقْلِعْ عن هذه الخُطة العوجاء ، ياهلاكَ أمتِنا ، إن لم يرجع شبابنا عن هذه الطريقة الخرقاء ، أىُّ شىء جرى لعقولكم معشرَ الشباب ، حتى فَضَّلْتُم معاشرةَ الزانياتِ العاهرات ، على معاشرة العفيفاتِ الصالحات ، الطاهراتِ الطيبات ، تقولون : مالنا وللزواج وقليل من المال يكفى لسدّ هذه الشهوة البهيمية ، وإن كان بطريقةٍ غير شرعية ، تقولون لم نحملُ هذا الحمل الثقيل ، من زوجةٍ و بنات و بنين ، كأنكم ظننتم أن الغرض من الزواج قضاء الشهوة ، لقد أخطأتم وربِّ الكعبة ، انظروا إلى الأمةِ الفرنسيَّة ،

(١) جمع أيم وهو من لازوج له من الرجال والنساء

كيف قلّ رجالها ، وضعُف نسلها ، لما انهمكت في الشهوات ، وفضّلت معاشرة العاهرات ، وتركت الفتيات العفيفات ، انظروا إلى الأمة الانجليزية كيف كثُر رجالهم ، وعظُم سلطانهم ، لما أقبلوا على الزواج إقبالا ، ورغّبوا فيه ترغيبا ، فاعتبروا أيها المصريون ، إن في ذلك لذكرى لقوم يعقلون ، أيها المصري إنك مسلمٌ قبل كل شيء ، تحقّقْ فيك صفةَ الاسلامية ، حقق فيك صفةَ الزوجية ، وإلا فكُنْ أشقى البرية

يا مسلمُ انتبِه فما أضرَّ الغفلة ، واستيقِظ فما تليق بك السَّكْرة ، يا مسلم إن الطريق واضح ، ونور الحق ساطع ، فاهتد بهَدْيِ سيِّدِ المرسلين ، واسلكْ سبيلَه القويم ، وفّقَكَ اللهُ لخير الأعمال ، وهداك طريق الرشاد

روى ابنُ ماجه عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول : ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرا له من زوجةٍ صالحة ، إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرّته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها نصحته في نفسِها وماله

وروى الترمذي وابنُ حِبّانَ والحاكِم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ثلاثةٌ حقٌّ على الله عونُهم . المجاهدُ في سبيل الله ، والمكاتَبُ الذي يريد الأداء ، والناكحُ الذي يريد العفاف

٢٥

في صراع الحق والباطل وأن النصر للاول

الحمد لله يُحِقُّ الحقَّ ويُبطِلُ الباطلَ ولو كره المجرمون ، الحمد لله يُرْخي للظالمين العِنان ، ثم يأخذهم من حيث لايشعرون ، الحمد لله يُقلّبُ الليلَ والنهار ، ويُغيّرُ العالمَ في الزمن اليسير من حال إلى حال ، الحمد لله يَمُدُّ من أطاعه بالنصر المبين ، ويجازي من جاهد في سبيله بالفوز العظيم ، « ولَيَنْصُرَنَّ اللهُ من ينصرُه إن الله

لقوى عزيز » أشهد أن لا إله إلا هو بيده ملكوتُ كلِّ شيء وإليه مرجعُ كلِّ حي ، وما لكم من دونِ الله من وليٍّ ولا نصير . وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه بيّن لنا الطريق المستقيم ، في كتاب الله وسنة رسوله الأمين ، فصلواتُ الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الطاهرين ، ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين

« أما بعد » فان العملَ اليوم ، والحسابَ في الغد ، « فمن يعملْ مثقالَ ذرة خيرا يره ، ومن يعملْ مثقالَ ذرة شرا يره » « وما تفعلوا من خيرٍ يعلمْه الله ، وتزوَّدوا فان خيرَ الزاد التقوى ، واتقونِ يا أولى الألباب » نعم لا تتقوا إلا الله ولا تَخْشَوْا إلا عذابه ، « إن بطشَ ربِّك لشديد ، إنه هو يُبْدِئُ ويعيد ، وهو الغفور الودود ، ذو العرشِ المجيدُ ، فعّالٌ لما يريد » يفعل ما أراده مما يقتضيه عدلُه وحكمتُه وتدعو إليه مغفرتُه ورحمتُه ، فالذين بَغَوْا وظلموا لهم عذابٌ أليم « ومكرُ أولئك هو يَبُور » وما لهم من دون الله من أولياء ثم لا يُنْصرون ، بل خِذْلانٌ عظيم ، وخَرْقٌ كبير ، لا يُرْجى له إصلاح ، ولا يُؤمَّل معه نجاح ، جزاء بما اكتسبوا « ترى الظالمين مُشْفِقِينَ مما كسبوا وهو واقعٌ بهم ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات في رَوْضاتِ الجناتِ ، لهم ما يشاءون عند ربهم ، ذلك هو الفضل الكبير »

أيها المؤمن ما دمت بالله مصدقاً ، وبالعمل الصالح قائما ، فثق بالحياةِ الطيبة ، والعزةِ العالية ، والثروة الواسعة « من عمِلَ صالحا من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة — ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخافُ ظلماً ولا هضما » فجِدُّوا واعملوا ، ولا تقولوا مالن تفعلوا « كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »

لقد ملأتم الجوَّ بالكلام ، وما نرى فيكم صالح الأعمال ، وتمنيتم الأماني الكبيرة ولم تتخذوا لذلك من وسيلة ، بَحَّ صوتُ الناصحين ، وتكسَّرت أقلامُ الكاتبين ، ولا زلتم في لهوِكم تمرحون ، وبظاهرٍ من القول تفرحون ، ألا إنَّ القولَ قد فات أوانُه ، والعملَ أدركَكم وقتُه وإبّانُه ، فازرعوا الطيبَ لتحصدُوه ، وسابقوا إلى الخير

لتغنموه ، فواللهِ هلكَ قومٌ لم يعملوا « ويحبون أن يُحْمَدُوا بما لم يفعلوا ، فلا تَحْسَبَنَّهم بمفازةٍ من العذاب ، ولهم عذاب أليم » فاقْرِنُوا القولَ بالعمل ، وآثروا الجدَّ على الكسل « من قبل أن يأتيكم العذاب بغتةً وأنتم لا تشعرون » اعملوا كما عمِل الأسلاف ، وبرهنوا بأفعالكم على قوة إيمانكم ، ومضاءِ عزيمتكم ، وشدة شكيمتكم إلا أني أرى بَصِيصا من النور ، قد ظهر في مشارقِ الأرضِ ومغاربها وأنه أخذ يُبَدِّدُ الظلمَ ، ويُهَدِّمُ هيا كلَ الاستبداد ، ويدكُّ صروحَ الاستعباد ، وأكبرُ ظني أنه سيعمُّ البقاع ، وأنه لكل أمة بخيرُ زاد ومتاع ، وأنه غوثُ اللهِ العظيم « نَصْرٌ من اللهِ وفتح قريب » فاستبشروا أيها المؤمنون ، واعلموا أن قوةَ الله فوقَ كل قوة وسطوتَه أعظمُ من كل سطوة ، وأن عدلَه قائم ، وقضاءه نافذ « إن ربَّكَ لبالمرصاد »

روى أبو داود عن أنَسٍ رضِيَ الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ثلاثةٌ من أصل الايمان ، الكفُّ عمن قال لا إله إلا الله ، ولا نُكَفِّرُهُ بذنب ، ولا نخرجُه عن الاسلام بعمل ، والجهادُ ماضٍ منذ بعثني الله تعالى إلى أن يقاتل آخرُ هذه الأمة الدَّجَّال ، لا يُبْطِلِه جَوْرُ جائر ، ولا عدلُ عادل ، والايمان بالأقدار

٢٦

العبرة بأعمال القلوب — الصيام

الحمد للهِ الذي شرع لنا من أحكام دينه ماهو كفيلٌ لنا بالسعاة ، وضامنٌ لنا الحسنى وزيادة ، الحمد للهِ يَمُدُّنا بنعمِه المتتالية ، وتفضلاتِه السابغة ، لنشكرَه ونحمدَه ونمجِّدَه ونعبدَه ، فمن شكر له أمدَّه بخيره العميم ، ومن كفر فان الله غَنِيٌّ عن العالمين « لَئِنْ شكرتم لأزيدنَّكُمْ ، ولئن كفرتم إنَّ عذابي لشديد » أشهد أن لا إله إلا هو عادلٌ حكيم ، وعليمٌ خبيرٌ ، يعلمُ ما يلجُ في الأرضِ وما يخرجُ منها ،

وما ينزل من السماء وما يعرُجُ فيها ، وهو الرحيم الغفور ، وأشهد أن محمدا عبدُه ورسوله نام وقام ، وأفطر وصام ، وجاهد فى الله حقَّ الجهاد ، حتى طهُرت النفوسُ من الرِّجسِ والوثنية ، واستنارت بنورِ الشريعةِ الاسلامية ، فصلواتُ الله وسلامُه عليه وعلى آلِه وأصحابه خيرِ من مَثَّلوا الشريعة فى ثوبِ جِدَّتها ، وأظهروها فى كاملِ زينتِها وبهجتِها ، رضى الله عنهم وعمن تبعهم باحسانٍ إلى يوم الدين

« أما بعد » فأنى أصوِّبُ نظرى وأُصعِّد ، وأُشَرِّقُ به وأغرِّب ، فأرى نفوسا متكاثرة ، وأنفاسامتصاعدة ، وألسنةً تَلْهَجُ بالثناء والدعاء ، وأجساماً راكعةً ساجدةً ولكنى أراها مع ذلك فى ضعةٍ وذلة ، وفقر ومسكنة ، أراها مع ذلك تسُود بينها قلوبٌ سوداء مُعْتِمَة ، مملوءةٌ بالشرورِ مُظْلِمَة ، أرى بجانب تلك الألسنة الداعية ، ألسنةً عيَّابة ، هَمَّازَةً طَعَّانة ، لا ترجع عن الحطِّ من كرامةِ الناس ، والخوضِ فى أعراضِهم ، والانتقاصِ من شرفِهم ، أرى بجانب تلك الأجسامِ الراكعةِ الساجدة رياء قد غلب عليها ، وأحْبَطَ عملَها ، بل أستغفر الله فانى لا أرى ركوعا ولا سجودا ولا ثناء ولا دعاء ، بل ولا أرى إيماناً ، ولا ديناً ولا إسلاماً ، إن هي إلا عاداتٌ ورِثتموها عن آبائِكم ، وسرتم عليها كسيرِ أسلافِكم ، وسمَّيتموها ديناً وإسلاماً ، وتقوى وإيماناً ، والله يعلمُ أن بينها وبين الدين مراحل ، وأن الدين فى جانبٍ وهى فى جانب ، عساكم تقولون : كيف هذا ونحن الراكعون الساجدون ، نهارنا صيام ، وليلُنا قيام ، فكيف تَبْخَسُنا حظَّنا من الاسلام ، صبراً صبراً ، نعم أنتم تصلُّون ولكن لا تخشعون ، أنتم تركعون وتسجدون ، ولكن عن المنكر لا تنتهون ، أنتم تصومون ولكنكم لأعراضِ الناس تنهشون ، أنتم تصومون وأكثركم على الحرام يُفْطِرون ، بالليل تقومون ، ولصلاة التراويح تؤدون ، ولكنها صُوَرٌ متحركة وقلوبٌ صامتةٌ غافلة ، بشؤن الدنيا لاهية ، عشرين ركعةً تصلون ، والله يعلم أن ثِنْتَين بخشوعٍ وخضوعٍ خيرٌ منها لو كنتم تعقِلون ، من نسائِكم وبناتكم من يصوم ، لكن لا يُصَلِّى ولا يقوم ، فهل كان على النساءِ صيامٌ دون صلاة ، وهل

الصلاةُ إلا عمادُ الدين ، من أقامها من ذكرٍ أو أنثى فقد أقام الدين ،ومن هدمها من النوعين فقد هدم الدين، بل أعجبُ من ذلك وأغرب ، بل أدهى وأمرّ، أن تصومَ الحائضُ أو النفساء أو تجرحَ صومَها آخر النهار بلُقَيْمات ، أو يصومَ المريضُ المُشْرِف على الهلاك ، ظانا أن ذلك أكبرُ الحسنات ، وأقربُ القربات، كذبوا وربِّ الكعبة وافتروْا على دينه بهتانا عظيما . إنما التقرُّبُ إلى الله يكون بالعملِ بدينِه ، واتباعِ كتابه ، وسنةِ رسوله ، ألا إن من دينه وجوبَ الافطارِ على الحائض والنفساء ، ألا إنَّ من دينِه الترخيصَ بالافطار للمسافرِ والمريض ، والحاملِ والمرضع فالأربعة بالخيار ، إن شاءوا أفطروا ، وإن شاءوا صاموا ، والله يُحِبُّ منهم الصيامَ كما يُحِبُّ الافطار ، فان الله يحب أن تُؤْتَى رُخَصُهُ ، كما يُحِبُّ أن تؤتى عزائمه

فاتقوا الله عبادَ الله ، ولا تتَّبِعوا الأهواء والشهواتِ في الدين ، بل اتَّبِعُوا كتابَه وسنَّةَ رسولِه الأمين « لقد كان لكم في رسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذكرَ الله كثيراً »

روى البخاريُّ وأبو داودَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من لم يَدَعْ قولَ الزورِ والعملَ به والجهلَ (١) فليس لله حاجةٌ في أن يَدَعَ طعامَهَ وشرابَه

٢٧

طلب العلم وفضله

الحمد لله الذي خلق الانسانَ وعلَّمه البيان ، الحمد لله الذي عَلَّم بالقلم ، عَلَّم الانسانَ ما لم يَعْلَمْ ، الحمد لله الذي جعل العلم طهارةً للنفوس ، ونورا للبصائر ، وطريقا إلى الحق ، وهاديا إلى الجنة ، أشهد أنه لا إلهَ إلا الله وحدَه ، لا شريكَ له في مملكته

(١) السفه والحمق

ولا نظيرَ له فى ربوبيته ، وأشهدُ أن سيدَنا محمدا عبدُه ورسولُه بيَّنَ معالمَ الدين وهدانا الصراطَ المستقيم ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين

« أما بعد » فان أرضاً لا تتعهَّدُها بالسقى والعناية ، لا تحصُدُ منها إلا الحسرةَ والندامة ، وإن قلباً لا يُسْقَى بمياهِ العلم ، لا يمكن أن يكون موطنا للطهارة والعبادة ولا مغرِساً للأخلاقِ الفاضلةِ والسعادة ، فالعلمُ طِبُّ النفوس وحياتُها ، وعزُّها وعلوُّها ، ومن لاعلم عنده فلا خيرَ فيه ، بالعلمِ كمالُ الانسان ، والعلوُّ على الأقران بالعلمِ ساد من ساد ، وارتفعَ من ارتفع ، بالجهل دُكَّتْ معالمُ أُمَمٍ ، وخرِبَتْ بيوتٌ ودُوَل ، فما بالُنا لا نتعظ ، ما بالُنا لا نعتبر ، سعيتَ فى طلبِ المالِ لخدمةِ جسمِك وبدنك ، وشهواتِك ورغباتك ، ولم تسعَ فى طلبِ العلمِ لتكميلِ نفسك ، وتطهيرِ روحك ، وأنت بالرُّوحِ لا بالجسمِ إنسان ، يا مُجِدًّا فى العبادة ، ولستَ من علمِ الدين فى شئ ، أتعبتَ نفسَك فى غيرِ مفيد ، ولم تحفَظْها من العذابِ الشديد ، أما سمعتَ قولَ الشافعى : لطلبُ العلمِ أفضلُ من صلاةِ النافلة ، أما سمعتَ قولَ عُمَرَ بن عبدِ العزيز : من عمِلَ فى غير علم كان ما يُفْسِدُ أكثرَ مما يُصْلِح ، بل أما سمعتَ قولَ النبى ﷺ : لأن تغدُوَ فتتعلمَ آيةً من كتاب الله خيرٌ لك من أن تُصَلِّيَ مائةَ ركعة (١) فالعبادةُ على غيرِ علم ، كالبناءِ على غيرِ أساس ، وكما أنه لاغنى للعملِ عن العلم ، فلا فائدة فى العلمِ بدون العمل ، فعلمٌ بلا عمل كشجرٍ بلا ثمر

ياطلبةَ العلم ، ياحملةَ الشهادات ، يامعشرَ الموظفين ، لاتظُنُّوا أن العلمَ ماتعلمناه فى المدارس ، إن ذلك إلا بعضٌ من كُلٍّ ، وقُلٌّ من كُثْر ، إنما العلمُ ما نبَع من عيونِ الدين ، وبينه لنا ربُّ العالمين ، العلمُ معرفةُ الدينِ ، والتبصُّرُ فيه والشربُ من حياضِه ، العلم كما قال سيدُ المرسلين : من يُرِدِ اللهُ به خيراً يُفقِّهْهُ فى الدين ، يا معشر المسلمين ، ما لى أرى بيوتَ اللهوِ عامرة ، ودبار العلم خاويةً خالية ، مالى أراكم تجتمعون حولَ القُصَّاص ، ولا تستمعون حديثَ خيرِ النَّاس ، مالى أراكم

(١) الحديث رواه ابن ماجه باسناد حسن عن أبي ذر

فى طلب المال مُسْرعين ، وعن معرفةِ كتابِ اللهِ مُعْرِضين ، هل ضَلَّتِ العقول ، هل عَمِيَت الأبصار ، هل صُمَّتِ الآذان ، ما كان كلُّ ذلك ، ولكنها الشهوات تُعْمِى وتُصِم

فيا طالباً رُشْدَه ، ويا محباً سَعْدَه ، ويا راغباً فى النجاة ،

عليكَ بالعلمِ لا تَطْلُبْ له بدلا واعلمْ بأنك فيه غيرُ مغبون

العلمُ يُجْدِى ويَبْقَى للفتى أبداً والمالُ يَفْنَى وإن أجْدَى إلى حين

فاتقوا الله عبادَ الله ، واسْعَوْا فى تعلُّمِ العلم ، فكفاه شرفا قولُه تعالى « إنما يَخْشَى اللهَ من عبادِه العلماء » « هل يَسْتَوِى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، إنما يَتَذَكَّرُ أولوا الألباب »

روى مسلمٌ وأبو داودَ والتِّرْمِذِىُّ وغيرُهم عن أبى هريرةَ رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُرْبَةً (١) من كُرَبِ الدُّنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يومِ القيامة ، ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة ومن يَسَّرَ على مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عليه فى الدنيا والآخرة ، واللهُ فى عون العبدِ ما كان العبدُ فى عون أخيه ، ومن سلك طريقاً يلتمسُ فيه علما سَهَّلَ اللهُ له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوتِ الله يتلون كتابَ الله ويتدارسونه بينهم إلا حَفَّتْهُمُ الملائكةُ ونَزَلَتْ عليهم السكينة ، وغَشِيَتْهُم الرحمة ، وذكرهم اللهُ فيمن عنده ، ومن أبطأ به عملُه لم يُسْرِعْ به نسبُه

٢٨

حق الحرية . سياسة الارهاب وضررها

الحمد لله الذى جعل الحريةَ حقا لبنى الانسان ، وحَضَّ على تحريرِ الرقاب ولو

(١) الكربة الغم الذى يأخذ بالنفس . ونفسها فرجها وكشفها

بالأصفرِ الرَّنَّان ، و بَيَّنَ أن فى ذلك افتحامَ العقبة (١) وأنه القُرْبةُ إلى الله كل القربة ، الحمد لله الذى نَهَى عن الغِلْظةِ فى القولِ والعمل ، وأمر باللين خشيةَ الهلاك والزلل ، و بَيَّنَ أنه نعمَ العونُ فى سياسةِ الأمم ، فسبحانه من إلهٍ يَحُضُّ النفوسَ على ترك الاستعباد ، ويُبَيِّنُ أن العدلَ خيرُ ما تُساسُ به البلاد ، أشهد أن لا إله إلا هو يَجْزِى الظالمين بظلمهم ، ويكافئُ المجدِّين على جِدهم ، وينيلُهم ثمرةَ جهادِهم ، إن بذلوا نفوسَهم وأموالَهم ، وأضافوا إلى ذلك صبرَهم وثباتَهم . وأشهدُ أن سيدنا محمداً عبدُه ورسوله ، كم فَكَّ من الرِّقاب ، وخَلَّصَ من الأُسارى ، و بذل الحرية لمستحقيها ، وكانوا أحقَّ بها وأهلَها . فصلواتُ الله وسلامُهُ عليه من نبىٍّ لم يحكم الأممَ بالسيفِ والسِّنان (٢) ولا بالقوة والطغيان ، ولا بالمكرِ والخِداع ، ولا الهمَج من الناسِ والرِّعاع ، ولكن حَكَمَهُمْ بالعدلِ والحق ، والأناةِ والرفق ، حكمهم بالصراحةِ الظاهرة ، والنفوسِ الطاهرة ، فما أجملَ هَدْيَه ، وما أعدلَ حكمه ، وما أبعدَه عن الجبروت ، وما آثره للشفقةِ والرُّحُوت ، وما أفضلَ أصحابَه الذين ساروا فى طريقه وسلكوا بسلوكه ، حتى دانت لهم الأممُ فى مشارقِ الأرضِ ومغاربها ، فصلواتُ الله وسلامُهُ عليه وعلى آله وأصحابه ومن تَبِعَهُم باحسانٍ إلى يوم الدين

« أما بعد » فان للحقِّ هَيْمَنَةً على النفوس ، وللدِّين سلطاناً على القلوب ، وان من أحسنتَ اليه أطاعَكَ وأحبَّك ، ومن أسأتَ اليه مَقَتَكَ وكَرِهَك ، ولو كان أقربَ الناسِ اليك ، وأعظمَهم منزلةً لديك ، فكيف اذا لم يكن من بنى جنسِك ، أو كان من وطنٍ غيرِ وطنِك ، أو كان دونك فى المعرفةِ والعلم ، أو الخُلُقِ والفهم ، لا شك أن المقتَ يكونُ له شديدا والسخطَ عليه يكونُ عظيما ، يرحمكَ الله يا عُمَر . أيقظتَ العدلَ ليحكمَ بين الناس ، فنمت آمنا مطمئنا ، غير محتاج إلى مُرْهَفاتِ السيوف ، ولا إلى كثرةِ الجنود ، فوفَّرتَ على المسلمين النفوسَ العديدة ، وعلى خزينتهم الأموال الكثيرة ، أما أنتَ يا حَجَّاجُ فآثرتَ الظلمَ على العدل ، والباطلَ على الحق ،

(١) اقتحم العقبة تخطاها والعقبة المرقى الصعب من الجبال (٢) الرمح

واغتصبت حقوقَ الضعفاء ، وأرقت دماء الابرياء ، وملأتَ السجونَ بالمظلومين ، والكثير من البررةِ المتقين ، وفجعتَ الناسَ فى شبابهم ، كما أخذت كثيراً من أموالهم ، وسلبتهم أعزَّ الأشياءِ عليهم ، حريتهم فيمايقولون أو يكتبون ، ويخطبون أو يؤلفون ، فرّقتَ أموالَ المسلمين فى قبيلتِك وأعوانِك ، وأبعدتَ عن الوظائفِ من لم يكنْ من أقربائك وأصحابك ، ولم يَسْلَم من شرك إلا القليل ، فأصبحت كلُّ نفس تُضْمِرُ لكَ بين جنبيها عداوة ، وتتمنَّى لك أعظمَ مصيبةٍ ونِكاية ، فأكثرتَ من الحرسِ والأجناد ، وأرسلت الجواسيسَ فى كل مجتمَعٍ وناد ، وبذلتَ كثيرا من الأموالِ للخونةِ اللئام ، ليبحثوا عن الأشرافِ الأطهار ، الذين لا يَرضونَ إلا الحقّ ، ويأبَونَ إلا الانصافَ والعدل ، حتى إذ تمكَّنْتَ منهم طوَّحْتَ بهم ، وأزهقتَ أرواحَهم ، أو زَجَجْتَ بهم فى سجنٍ مظلم « وزنزانة » ضيّقة . لا يُبْصِرون فيها شعاعَ الشمس ، ولا يتنَسَّمون فيها رائحةَ الحرية ، كلُّ ذلك كان منك يا حجَّاجنا ، يا أعتَى العُتاة ، وأطْغَى الطغاة ، فهل أغنتْ عنك سيوفُك وجيوشُك ، وأعوانُك وجواسيسُك ، ومكرُك وحِيَلُك ، هل أغنتْ عنك تلك الدماء البريئة ، والأرواح الشهيدة ، كلا لم يُغْنِ عنكَ من الله شيئا ، بل أخذكَ أخذَ عزيزٍ مقتدر ، وسلب عنكَ ذلك الملك ، وحرَمَكَ من ذلك العرش ، وانتقم للمظلومين المستضعفين فيا ظالمُ أقلِعْ عن ظُلْمِك ، واعلم أن الله لك بالمرصادِ « ولا تحسبَنَّ الله غافلا عما يعملُ الظالمون ، إنما يؤخِّرُهم ليومٍ تشخصُ فيه الأبصار »

روى مسلمٌ وغيره عن جابرٍ رضِيَ الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال : اتقوا الظُّلْمَ فان الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة . واتقوا الشُّحّ فان الشحّ أهلك من قبلكم . حملهم على أن سفكوا دماءهم ، واستحلُّوا محارمَهم

٢٩

الاسلام ودلائله والايمان وشعبه [١]

الحمد لله جعل الاسلامَ خضوعا وانقيادا ، والايمانَ تصديقا واذعانا ، جعل الاسلامَ إخلاصا له فى العبادة ، وسعيا فى مصلحة الأفرادِ والجماعة ، الحمد لله أنزل علينا كتابا مبينا ، وكان آخرَ ما أنزل من آياته « اليومَ أكملتُ لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضِيت لكم الاسلام دينا» أشهد أن لاإله إلا الله ، لايعبأ بكلماتٍ لا صلةَ لها بالقلوب ، ولا بأعمالٍ تخالف ما فى الصُّدور ، وأشهد أن محمدا عبدُه ورسوله ، بيَّن أسُسَ الاسلام [٢] ، وأنها شهادةٌ وصلاة ، وصيامٌ وزكاة وحجّ البيت لمن استطاعه ، كما بيَّن شُعَبَ الايمان [٣] ، وأن منها الحياء ، وأن كلمةَ التوحيدِ أعلاها ، وإماطةَ الأذى عن الطريقِ أدناها ، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه ، الذين شرح الله صدرهم للاسلام ، وحبَّب إليهم الايمان ، جزاهم الله أحسنَ الجزاء

« أما بعد » فان للاسلام أماراتٍ تدلّ عليه ، وللايمان علاماتٍ تُرْشِدُ إليه وليس كل من زعم الاسلام مسلما ، ولا كل من ادَّعى الايمان صادقاً « ومن الناسِ من يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخر ، وما هم بمؤمنين »

المسلمُ الحقيقىّ من أسلم وجهه لله ، وراقبه فى كلِّ شأنِه ورعاه

المسلم الحقيقىّ من سلم المسلمون من لسانِه ويده ، فلا يُطلق لسانه بالطعن فى أعراضِهم ، أو الكذبِ فى تحديثِهم ، أو الافساد بينهم ، ولا يدعوهم إلى التهاون فى الواجبات ، أو ارتكابِ المحرمات ، ولا يَمُدّ يده إليهم بالسوء ،فلا يسرقُ مالهم

---

(١) هذه الخطبة والخطبة التالية عملنا كطلب وزارة الأوقاف المؤرخ ٢٩ شوال سنة ١٣٤٧ هـ ٩ ابريل سنة ١٩٢٩ م (٢) وذلك فى حديث بنى الاسلام على خمس الذى رواه الشيخان والترمذى والنسائى عن عبد الله بن عمر (٣) وذلك فى حديث أبى هريرة عند الشيخين وأصحاب السنن الثلاثة

ولا يُؤْذى بريئهم ، ولا يكتبُ زورا ، ولا يخطُّ باطلا ، بل لسانُه بذكر الله رَطْب ، وفى الدعوة إلى الخير مُجِدّ ، ويدُه عاملةٌ فى اكتساب المعيشة ، ونفع الخليقة

المسلمُ الحقيق لا يحرفُ الكلِمَ عن مواضعِه ، ولا يكذبُ على الله فى شرائعه « ومن أظلم ممَّن افترى على الله الكذب وهو يُدْعَى إلى الاسلام ، والله لا يهدى القوم الظالمين »

المسلم الحقيق من يُقيمُ للدين بنيانَه ، وللاسلام أركانَه ، فتراه واقفا عند أمر ربه ، متجنبا ما حرَّمه فى شرعه

تلك صفاتُ المسلم ، وهذه دلائل الاسلام ، وهذا هو الدين الحق الذى قال الله فيه « إن الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يُقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »

أما الايمانُ وآياته ، وشعبُه وأماراته ، فدونَكَ منها بعضَ ما نطق به القرآن ، أو بيَّنه رسولُنا عليه الصلاة والسلام ، المؤمنُ حقا من إذا ذُكر الله وجِل قلبُه ، وخَشعَتْ نفسُه ، وفاضت عينُه ، من إذا سمع القرآن ثلِجَ صدرُه ، وزاد إيمانه ، وعلا يقينُه ، مَن يعتمد على ربه فى نوال غايتِه ، بعد أن بذل جُهْدَه فى سبيل حاجتِه ، من يقيم الصلاة بأدبٍ وخشوع ، وتذلّلٍ وخضوع ، من يبذل مالَه لليتيم والمسكين ، وفى سبيل الله وابن السبيل « إنما المؤمنون الذين إذا ذُكرَ الله وجلت قلوبُهم ، وإذا تُليتْ عليهم آياتُه زادتْهم إيمانا ، وعلى ربِّهم يتوكلون ، الذين يقيمون الصلاةَ ، ومما رزقناهم ينفقون ، أولئك هم المؤمنون حقا ، لهم درجاتٌ عند ربِّهم ومغفرةٌ ورزقٌ كريم »

المؤمنُ صدقا من آمن بكلِّ ماجاء به القرآن ، إيمانا لا يزلزله شك وارتياب ، وجاهد بنفسِه ومالِه فى سبيل نصرة الدين ، وإقامة الحق المبين « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون »

المؤمنُ حقا من يُعرِضُ عن اللغوِ والباطل، ويرعى العهودَ والأمانات ، ويحفظ فرجَه عن المحرّمات ، ويحافظ على الصلوات ، اقرءوا إن شئتم قوله تعالى « قد أفلح المؤمنون ، الذين هم فى صلاتهم خاشعون ، والذين هم عن اللغو معرضون ـ الآيات »

المؤمن حقا من رضِىَ بحكم الله وقضائِه ، وحكمِ رسولِه فى كلِّ شجارِه وخلافِه « فلاَ وربِّكَ لا يؤمنون حتى يحكِّموكَ فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسِهم حرجاً مما قضيتَ ويُسلِّموا تسليما »

المؤمن حقا من يتخذُ المؤمنين أولياءه وأنصاره ، وأحبابَه وإخوانَه ، ولا يوالى من كان على الاسلامِ حَرْبا ، وللمسلمين عدوًّا وضدًّا « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » « إنما المؤمنون إخوة » « لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوَادُّون من حادَّ اللهَ ورسولَه ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ، أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمانَ وأيَّدهم برُوح منه »

المؤمن حقا من يمقت الذلَّةَ والمهانة ، ويأبَى إلا العزةَ والكرامة « ولله العزةُ ولرسولِه وللمؤمنين » « ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين »

المؤمن المخلص من يلتزمُ الصدق، ولا ينكر الحق « ولا يحل لهن أن يكتُمْنَ ما خلق الله فى أرحامِهن إن كنَّ يؤمنَّ بالله واليوم الآخر»

المؤمنُ الصادقُ لا سلطانَ للشيطانِ على نفسِه « إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكَّلون » انما السلطان عليـه للقرآن ، فاذا دعاه لبَّى وخضع واستكان لأمره وسجد « إنما يؤمنُ بآياتِنا الذين إذا ذُكِّروا بها خَرُّوا سجَّدا وسبحوا بحمد ربِّهم وهم لا يستكبرون ، تتجافى جنوبُهم عن المضاجع يدعون ربَّهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون . فلا تعلمُ نفسٌ ما أُخْفِيَ لهم من قرَّةِ أعين جزاء بما كانوا يعملون . أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ؟ لا يستَوُون »

المؤمنُ صدقا يهجرُ المناهىَ والملاهى ، ويعمرُ بيوتَ اللهِ لاقامة الصلوات ، وسماع العظات « إنما يعمرُ مساجدَ الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقامَ الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا الله »

المؤمن الصادق راض بقضاء الله وقدره، إن أصابته سراء شكر، وان نزلت به ضراء صبر، كما حدثنا بذلك [١] سيد البشر، المؤمن الصادق يجدُ للايمانِ حلاوة، دونَها كلُّ لذة فى الحياةِ وسعادة، كما قال رسولنا الكريم [٢] « ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد حلاوة الايمان، أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبُّه الا لله تعالى، وأن يكره أن يعودَ فى الكفر كما يكرهُ أن يُقْذَفَ فى النار »

علامة الايمان الحقِّ أن تحب لأخيك ما تحب لنفسِك [٣]، فتحبَّ له سَعَةً فى المال، وصلاحاً فى الأعمال، وتدرُّجا فى دَرج الكمال

علامة الايمان الحق نفسٌ طاهرة، وأخلاق عالية، وأعمال طيبة

فاتقوا الله أيها المسلمون، وبرهنوا على حسن اسلامكم بترك مالا يعنيكم، وسلامة الناس من ألسنتكم وأيديكم. برهنوا على إيمانكم، بصفاء نفوسكم، وحسن أعمالِكم، ليَمُدَّكم بنصره، ويؤيدَكم بجنده « وكان حقا علينا نصرُ المؤمنين »

عن أبى هريرةَ رضى الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانِه ويدِه، والمؤمن من أمِنه الناسُ على دمائهم وأموالهم ـ رواه الترمذى والنسائى [٤]

٣٠

حقوق الأقارب

الحمد لله أمر ببرّ الأقربين، وقدَّمهم على اليتامى والمساكين، فى آيِ الكتاب المبين، كما فى قولِه تعالى « وآت ذا القُربى حقَّه والمسكينَ وابنَ السبيل » الحمد لله

---

(١) جاء هذا فى حديث رواه مسلم عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال. عجبا لأمر المؤمن أن أمره كله خير وليس ذلك لأحد الا للمؤمن إن أصابته الخ (٢) أخرج الحديثين الشيخان والترمذى والنسائى عن أنس بن مالك (٣) فى هذه الخطبة طول آثرناه لتوفية الموضوع بعض حقه ويحسن للخطيب أن يقف عند قوله تعالى « وسلموا تسليما » ويذكر حديث أبى هريرة فى ختام الخطبة أو أى يتخير منها ما يناسب حال السامعين

جعل للأقارب حقوقا تُرْعَى ، ووعد على القيام بها مثوبتَه العُظمى ، وجعل التهاونَ بها ، والتقصيرَ فى أدائها ، مستتبعا لعنتَه ، وغضبَه ونقمتَه ، « فهل عَسَيْتُم إن توليتم أن تُفْسِدوا فى الأرض وتُقَطِّعوا أرحامَكم ، أولئك الذين لعنهم اللهُ فأصمَّهم وأعمى أبصارَهم » أشهد أن لا إله إلا الله ، أنزل الناس منازلَهم فى البرِّ والاحسان ، فاذا بالأقرباءِ أحقُّهم بالرحمةِ والحنان ، وأولاهم بخيرِ المال « يسألونك : ما ذا يُنْفِقون ؟ قل : ما أنفقتم من خيرٍ فللوالدين والأقربين ،واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وما تفعلوا من خيرٍ فان الله به عليم » وأشهدُ أن محمدا عبدُه ورسوله لم يسأل قومَه على التبليغِ أجراً إلا المودَّةَ فى القربى ، فصلواتُ الله وسلامُه عليه ، وعلى آله وأصحابه الذين عرفوا للقرابةِ حقَّها ، وقاموا بواجبهم نحْوهَا ، جزاهم الله أحسنَ ما كانوا يعملون

« أما بعد » فقريبُك قطْعَةٌ منك ، فان أحسنتَ إليه فانما تُحْسِنُ إلى شخصك وإن بخلت عليه فانما تبخل عن نفسِك « ومن يُوقَ شُحَّ نفسِه فأولئك هم المفلحون » لقد رفعَ الله شأنَ القرابةِ فى آيِ كتابِه ، وعلى لسان رسولِه ، فهذا كتابُ اللهِ يأمرُنا بتوحيدِه فى العبادة ، ويُثَنّى بصلةِ القرابة « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى واليتامى والمساكين » هذا كتابُ الله يأمرُنا أن نصاحبَهم بالمعروف ، وإن كانوا على غير ديننا ، وإن كانوا إلى الباطل يدعوننا، قال في الوالدين « وإن جاهداكَ على أن تشركَ بى ماليس لك به علمٌ فلا تُطِعْهُما، وصاحِبْهما فى الدنيا معروفا » ألا تراه يأمرُ الرسولَ ﷺ أن يوجّه إلى ذوى قرباه دعوةً خاصة ، إذ يقول « وأنذِرْ عشيرتَكَ الأقربين» ألا ترى رسول الله ﷺ يقول عن ربه : أنا اللهُ وأنا الرحمنُ خلقتُ الرحِم (١) وشققتُ لها اسْماً من اسمى ، فمن وصلها وصلتُه ، ومن قطعها قطعتُه (٢)) ألا ترى الرسولَ يقول : الرحِمُ متعلقةٌ بالعرش تقول : من وصلنى وصله الله ، ومن قطعنى

(١) القرابة (٢) رواه أبو داود والترمذى

قطعه الله) [١] ألا تراه يقول : والذى بعثنى بالحق لا يَقْبَلُ اللهُ صدقةَ من رجل ، وله قرابة محتاجون إلى صدقتِه ، و يصرفُها إلى غيرهم ، والذى نفسى بيده لا يَنْظُرُ اللهُ إليه يوم القيامة [٢]) ألا ترى الرَّسولَ يُرَتِّبُ السَّعَةَ في الرزق ، والطولَ فى العمر ، وحسنَ الذكرى فى العقِب ، على برّ الأقارب ، إذ يقول « من سره أن يُبْسَط له فى رزقه وأن يُنْسَأَله فى أثره فليصل رحمه [٣] » أفلا عرفتَ يقينا ، واعتقدتَ صدقا ، بعد أن سمعت هذه الآياتِ البينة ، والأحاديثَ القيِّمة ، ان برَّ الأقرباءِ وصلتَهم من أكبر القُرُبات إلى الله ، وإنه من خيرِ مايعمله المرء فى هذه الحياة ، يا هذا إن برَّ الأقربين طرقُه عديدة ، وسبلُه كثيرة ، فقدِّم لهم من مالِك ما يُنفِقُونه على نفوسِهم ، و يقضُون به حاجاتِهم . وَصِّ لهم ببعضِ مالِك ، إن كانوا غيرَ وُرَّاثِك فالوصيةُ لهم فى الدين مشروعة ، وفى القرآنِ مكتوبة ، وإن حضروا اقتسام المال الموروث ، وليس لهم فيه نصيبٌ معروف ، ملأْنا عيونَهم ، ودفعنا حسدهم ، بيسير منه ندفعه إليهم « وإذا حضر القسمةَ أولوا القُرْبَى واليتامى والمساكينُ فارزقوهم منه ، وقولوا لهم قولا معروفا » وإن كان أقرباؤك أغنياء فتقدَّمْ إليهم بالهدايا ، تُوَثِّقِ الصلةَ بهم ، وتَفُزْ بجميلِ وُدِّهم ، وحسنِ صنيعِهم ، ساعِدْ ذوى قرابتِك على التربية والتعليم ، وأرشدهم إلى الطريقِ المستقيم « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسَكم وأهليكم نارا وقودُها الناس والحجارة » « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصلاةِ واصطَبِرْ عليها ، لا نسألك رزقاً ، نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » وكُنْ مَعَهُم كما كان إسماعيلُ مع أهله « وكان يأمرُ أهلَه بالصلاةِ والزكاةِ وكان عند ربه مرضيا » لا تُقَصِّرْ فى زيارةِ صحيحهم ، وعيادةِ مريضهم ، وتَفَقُّدِ حالِهم ، إن مسَّهُم ضر فخفِّفْ عنهم ما استطعت ، بنفسِك ومالِك ، ومركزِك وجاهِك ، ساعِدهم على بلوغ الدرجاتِ العالية ، والمنازلِ السامية ، ما دام فى ذلك صالحُ الأمَّة قبل صالِحهم ، وما دام ذلك من طريق الحقِّ والعدل ، لا من طريق المحاباةِ والظلم . ألا ترى إلى موسى يقول لربه عز وجل « واجعل لى

(١) رواه البخاري ومسلم (٢) رواه الطبرانى ورواته ثقات (٣) رواه البخارى ومسلم

وزيرا من أهلي ، هٰرون أخي ، أشْدُدْ به أزرى[١] ، وأشرِكهُ فى أمرى ، كى نسبِّحَك كثيرا ، ونَذْكُرَك كثيرا ، إنك كنت بنابصيرا » إن نبهُ شأْنُك بعد خُمول ، وعلامركزك بعد هبوط ، وأقبلت إليك الدنيا خاضعة ، طائعة صاغرة ، فلا تنس الأهلَ والأقرباء من خيرك ، وتقدّم إليهم بعطائك وفضلك ، وكن لهم كما كان يوسف لأبويه وإخوته ، لم يُنسِه ملكُه العظيم ، عن واجبه نحو الأقربين ، ولم تمنعْه إساءةُ إخوته اليه في الصغر ، عن البرّ بهم فى الكبر ، بل قال لهم : «إذهبوا بقميصِي هذا فألقوه على وجه أبِي يأت بصيرا ، وأتونى بأهلكم أجمعين » «ورفع أبويْه على العرشِ وخَرُّوا له سُجَّدا » وإن رأيت فى قرابتك وأسرتِك ، من يُخْشى عليهِ من مخالطةِ الاشرار ، فجنِّبْه طريقَهم ، وحُلْ بينَه وبينَهم ، وقل « ربِّ نجِّني وأهلى مما يعملون » وحذار أن تجعل خيرَك وفضلك الأجانب ، وتحرمَ منه الأقارب ، فان ذلك مُوغرٌ لصدورِهم ، ومُشْعِلٌ العداوةَ فى نفوسهم ، والأقربون أولى بالمعروف « وأولوا الأرحام بعضُهم أولى ببعض فى كتاب الله» حذار أن تفضِّلَ بعضَهم على بعضٍ فى مال ، وقد سوّى الله بينهم، أو تحرمَ ذا حقٍّ من حقه ، أوذا أملٍ من أمله فان ذلك مقطعٌ للصلات ، وإنه لظلم والظلمُ ظُلمات ، وقد حرّم الرسولُ ﷺ تفضيل بعض الأولادِ على بعض ، وأبى أن يَشْهَدَ عليه ، وقال : اللهم إنى لا أشهد على ظلم ، حذارِ أن تنصرَهم بالباطل ، أوتقولَ الكذب ، أوتشهد الزور ، لِتَجْلِبَ مصلحةً لهم ، أوتدفعَ شرا أصابهم «وإذا قلتُم فاعْدِلوا ولوكان ذا قُربَى وبعهدِ الله أوفوا » « كونوا قوّامين بالقِسْط ، شهداء لله ، ولو على أنفسِكم أو الوالدين والأقربين »

فاتقوا الله فى قرابتِكم ، وقدِّسوا حقوقَها ، واسْعَوا فى خيرها ، ودفع الشّر عنها ، وكونوا لأهلِكم كما تكونون لأنفسِكم « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحامَ إن الله كان عليكم رقيبا [٢] »

---

(١) ظهرى (٢) فى هذه الخطبة طول وقدآثرناه لنوفى الموضوع حقه أو تقارب ويجمل بالخطيب أن يتخير منها ماينا سب حال السامعين أو يقف عند قوله تعالى فى اسماعيل « وكان عندربه مرضيا» ويذكر الحديث الأخير ان شاء

obeikandi.com

روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصِلْ رحمه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليَقُلْ خيرا أو ليصمُت

عناية وزارة الاوقاف بالخطابة

تنشر وزارة الأوقاف من حين لآخر خطبا منبرية فيما تمس إليه حاجة الناس ليخطب بها الخطباء فى مساجدها ، وينسجوا على منوالها ، وقد أحسنت بذلك صنعا ، ونثبت هنا فى كتابنا بعض ما نشرت ، إمداداً لعملها ، ومساعدة لها على غرضها

٣١

فى آداب استماع القرآن

الحمدُ لله الذى أنزل القرآن هدًى للمؤمنين ورحمة ، وأتم به على أمةِ محمدٍ ﷺ أفضل نعمة ، سبحانه أنزله قرآنا عربيا غيرَ ذى عِوَج ، لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيمٍ حميد ، أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ العليمُ الحكيم ، وأشهدُ أن سيدَنا محمدا رسول الله خيرُ من تأدَّب بآداب القرآنِ الكريم ، اللهمَّ صلِّ وسلِّمْ وباركْ على سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن سلك صراطه المستقيم

قال تعالى وهو أصدق القائلين « وإذا قُرِئَ القرآنُ فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » وقال عز شأنُه « إنما المؤمنون الذين إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قلوبُهم وإذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه زادتْهم إيمانا وعلى ربِّهم يتوكلون »

عبادَ الله . أنزل اللهُ إلينا القرآنَ هادياً ، يُخرِجُ الناسَ من الظلماتِ إلى النور ، ودواء ، فى آياتِه شفاء لما فى الصدور ، وقانوناً ، يُحِقُّ الحق ، ويُبْطِلُ الباطل ، يردعُ الظالم ، ويقطعُ المظالم ، « إنْ هو إلا ذكرٌ وقرآنٌ مبين . لينذرَ من كان حيًّا ويَحِقَّ القولُ على الكافرين »

أنزله لنتدبَّرَ فى حِكَمِه ومعانيه ، ونعْملَ على امتثالِ أوامره واجتنابِ نواهيه ، ونعتبرَ بعظاتِه البالغـة ، ونستمسكَ بآدابه الفاضلة « كتابٌ أنزلناه إليـكَ مباركٌ ليدَّبَّروا آياتِه وليتذكرَ أولوا الالباب »

هـذا القرآنُ الـكريم الذى سمِعه نفرٌ من الجن (فقالوا إنا سمِعنا قرآنا عجبا . يهدِى إلى الرُّشْدِ فآمنا به ولن نشرك بربِّنا أحدا) وسمِعه بعضُ المشركين فخرُّوا لبلاغتِه سُجَّدا ، وهو أفضل معجزةٍ أيَّدَ اللهُ بها رسولَه محمدا ، أحكم اللهُ آياتِه وأبدعَ لفظَه ، ويسَّره للذكر وضَمِن حفظَه « إنا نحنُ نزَّلنا الذكرَ وإنا له لحافظون »

كان المؤمنون إذا تُلِيَتْ عليهم آياتُه تَفِيضُ من الدمع عيونُهم ، وتمتـلىء بالخوف من الله قلوبُهم ، فيزدادون إيمانا على إيمانِهم ، ويقينا على يقينهم « يخرّون للأذقانِ يبكون ويزيدهم خشوعا »

ما بالُنا ضيَّعنا حرمةَ مجالسِه ، وأهملنا فى واجباته ، فلم نُحْسِنْ الاستماعَ له ولا الانصاتَ لآياته ، وحقّ علينا قولُ الله جل شأنه « ما يأتيهم من ذكرٍ من ربِّهم مُحْدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون »

مابالُنا اتخذنا آياتِ الله هُزُوا ولعبا ، وملهًى وسَمَرا ، نشتغل عن سماعِه بلغو الـكلام ، ونجلسُ فى مجلسِه بغيرِ احتشام ، نضحكُ وآياتُ الخوفِ تُتْلَى ، ولا تتركُ العظاتُ فى قلوبِنا أثرا « لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبلٍ لرأيتَه خاشعاً متصدِّعاً من خشيةِ الله ، وتلك الأمثالُ نضرِبُها للناسِ لعلّهم يتفكرون »

أصبحنا نُقْبِلُ على استماعِ سورةٍ ، ونُعْرِضُ عن استماعِ أخرى ، ولم نأخـذ من آىِ الذكرِ الحـكيمِ عِبْرَةً ولا ذِكْرى ، تتفكهُ بالأقاصيص ، وفيها من سِيَرِ الأولين موعظةٌ للغافلين ، ونحسَبُها لهوا ، وهي أشدُّ نذيرٍ للظالمين « وما كان ربُّكَ ليُهْلِكَ القرى بظلمٍ وأهلُها مُصْلِحُون »

ياعباد الله احذروا أن يغضبَ اللهُ لـكتابِه ، فيصيبَكم بعـذابه . استحضِروا عظمةَ اللهِ وأنتم تستمعون آياته ، اخشعوا لصوتِ الحق « واذكروا نعمةَ اللهِ عليكم

وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمةِ يعظُكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكلِّ شيء عليم »

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : ما اجتمع قومٌ فى بيتٍ من بيوتِ الله تعالى يتلون كتابَ اللهِ ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغَشِيَتْهم الرحمة ، وحفَّتْهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده (١)

وعن ابنِ عباسٍ رضى الله عنهما قال : من استمع إلى آيةٍ من كتاب الله كانتْ له نورا (٢)

٣٢

فى الوقاية من السل

الحمدُ لله الذى خلق الداء والدواء ، ويسَّر للمريض سبيلَ الشفاء ، سبحانه جعل أساسَ العمرانِ سلامةَ الابدان ، وأرشدنا إلى ما فيه وقايتُنا من الخسران ، فالسعيد من عمِل فى الدنيا بارشادِ مولاه ، والشفاء لمن توكل عليه واتَّبع هداه ، أشهد أن لا إله إلا الله العليم الحكيم ، وأشهد أن محمدا رسولُ الله بالمؤمنين رءوف رحيم ، اللهم صلِّ على سيدِنا محمد وعلى آلِه وصحبِه ومن تبعهم باحسانٍ إلى يوم الدين

« أما بعد » فقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين: « ولا تُلْقُوا بأيديكم إلى التهلُكة ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »

عباد الله . كم لله علينا من نعمة ، وكم فيما شرعه من حكمة ، فعلينا أن نشكرَ للهِ نعمتَه ، ونعملَ ما نرجو به رحمتَه ، « لئن شكرتم لأزيدنَّكم ، ولئن كفرتم إن عذابى لشديد »

---

(١) الحديث رواه مسلم وأبو داود وغيرهما (٢) نص الحديث فى الترغيب والترهيب للمنذرى هكذا . « وعن أبى هريرة رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من استمع الى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة » رواه أحمد عن عبادة ابن ميسرة واختلف فى توثيقه . عن الحسن عن أبى هريرة . والجمهور على أن الحسن لم يسمع من أبى هريرة

خلق اللهُ الداء ، وخلق معه الدواء ، وقدّر به الشفاء ، فمن يرجو من الله شفاء عِلَّتِهِ ، فليتبع ما أرشد إليـه فى كتابه ، وليعمل بنصائح أهـلِ الذكر ، فقد قال تعالى فى كتابه المكنون (فاسألوا أهلَ الذكرِ إن كنتم لا تعلمون)

وأن من أشدِّ الأمراضِ فتكا بالانسان ، مرضَ السُّلِّ القتّال ، وقانا اللهُ شرّه ، وخفّفَ عن المصابِين به ضُرّه ، وإن على المصاب به واجبين ، واجبا لنفسه وواجبا لغـيره ، فاذا قام بواجبِـه نحوَ نفسِه ، وواجبه نحو أبناءِ جنسِه ، فرّج الله كُربتَه ، وأذهب علته ، ومن يُرِد الله به خيرا يوفّقْه إلى العملِ بالنصيحة ، والقيام بالواجبات

يجب على المريضِ بهذا الداء أن يمتنعَ عن بلع بَلْغَمِه ، فان فى ذلك إضرارا بباطنِه ، وخطرا على باقى أعضاءِ جسمِه

ويجب عليه أن لا يشربَ لبناً قبل غَلْيِه ، فربما كان فيه من جراثيم المرض مايزيد علّته ، ويضعّفُ علاجه

ويجب عليه أن يتخذَ لنومه غرفة خاصة به ، فان هذا أرجى لشفائه ، وأبعد عن أذى غيره

ويجب أن تـكون الغرفةُ الخاصةُ به تتخللُها الشمس والهواء ، فان فى حرارةِ الشمس وتجدُّدِ الهواء عونا على قتلِ جراثيم المرض ، وتطهير الغرفة من آفاته

ويجب أن تُتَعَهَّدَ الغرفةُ بالتنظيفِ والتطهير ، فانفيهما وقايةً من المضاعفات وتخفيفا لويلاتِ الآلام

هذه واجباتُ المريض نحوَ نفسِه ، فعليه أن يقومَ بها ، ولا يُهْمِلَ واحدةً منها فان الله سبحانه نهانا أن نُلْقِيَ بأيدينا إلى التهلكة ، وأمرنا أن نَقِيَ أنفسنا من الأمراض وندفعَ شرورَها ، ونتلافى أضرارَها ، فمن أهمل فى واجبِـه فانما إثمُه على نفسِه

obeikandi.com

وأما واجبُ المريضِ نحوَ الناسِ فأن لا يعرِّضَهم لأذاه ، وأن لا يكونَ سببا فى إصابتهم بمثلِ ما أصيبَ به ، فأن المسلم مَن سلم المسلمون من لسانِه ويدِه ، وليس الاذى باللسان ، قاصرا على اللعنِ والسِّباب،أوالشتمِ وتمزيقِ الأعراض، فربَّ بصقةٍ من مريضٍ نشرت منجراثيمِ هذا الداء ، ما فتكت بكثيرٍ من الأصحاء ، وربَّ قُبلَةٍ من المريضِ ، كانت حسرةً على السليم ، فيجب على المريضِ أن لا يَبْصُقَ على الأرضِ فى مسكنٍ أو طريقٍ أو مَرْكَبَة ، فأن فى هذا تعريضَ الناسِ للأذى ، وإصابتَهم بالأمراض ، ولا يؤمنُ المرء حتى يأمَنَ الناسُ أذاه ، ويجب على المريضِ أن يكونَ بصاقه فى وعاء نظيفٍ خاص ، به ما يُطَهِّره وأن يُلْقِيَه يوميا فى بيت الخلاء ، وإذا استعملَ المِنْديل فلا يستعمله قبل غَلْيه ، وعليه فى كلِّ حينٍ أن يبادرَ إلى تغييره ، فإن فى هذا كفا للأذى ، ووقايةً من الأمراض

فيا عبادَ الله ، المسلم من سلم المسلمون من لسانِه ويده ، والمؤمنُ مَن أمِن الناسُ أذاه ، فاللهَ اللهَ فى صحتِكم فلا تُهْمِلوها ، وفى صحةِ الناسِ فاحفَظُوها ، وفى نصائح الأطباءِ الصادقين فنفِّذُوها ، وفى كلِّ حسنةٍ فافعلوها ، وفى كل سيئةٍ فاتركوها ، إنكم إن فعلتم ذلك هداكم الله طريق الرشاد ، وجعلكم من أهلِ السداد « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون »

روى مسلم فى صحيحِه أن رسول الله ﷺ قال : لكل داء دواء فاذا أُصيبَ دواء الداءِ برأ باذنِ اللهِ عز وجل

وفى مسند الامام أحمد عن أُسامةَ بن شُرَيْك قال : كنت عند النبى ﷺ وجاءتْ الأعرابُ فقالوا : يا رسول الله أنتداوى ؟ فقال : نعم يا عباد الله تَدَاوَوْا فان الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غيرَ داءٍ واحد فقالوا : ما هو ؟ قال : الهَرَمُ .

٣٣

فى الحث على مقاومة دودة القطن

الحمد لله فالقِ الحبِّ والنوى . يُخْرِجُ الحيَّ من الميت ، ويخرج الميتَ من الحى . ذلكم اللهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُون . أشهدُ أن لاإله إلاالله الذى أنشأ لنا فى الأرضِ جناتٍ معروشاتٍ وغير معروشات ، والنخلَ والزرعَ مختلفا أكلُه ، والزيتونَ والرمّانَ متشابها وغيرمتشابه ، فتبارك الله أحسنُ الخالقين . وأشهدُ أن محمدا عبدُه ورسولُه الذى بعثه الله تعالى حجةً على العالمين . اللهم صلِّ وسلِّمْ وباركْ على عبدِك ونبيِّك محمدٍ ، إمامِ الانبياءِ وسيِّد المصلحين ، وعلى آلِه وصحبه الذين أقام الله بهم أمرَ الدنيا والدين .

« أما بعد » فقد قال اللهُ تعالى « وإن تَعُدُّوا نعمةَ اللهلاتُحْصُوها ، إن الانسانَ لظلوم كفار » يا عبادَ الله إن بلادَنا جنةٌ من جنَانِ الدنيا ، تُرْبَتُها خصبةٌ طيبةٌ مباركة ، تُنْبِتُ جميعَ الزروع ناضرةً زكيـة ، وتُؤْتِى جميعَ الثمرات جميلةً شَهِيَّة ، وتجودُ بجميع الفواكِهِ حلوةً جَنِيَّة ، وقد أكمل الله تعالى نعمتَه علينا بهذا النيلِ المباركِ العظيم ، أرسله الله تعالى ينسابُ فى هذه البلادِ يجرى فيها بمائه عذباً فراتًا ، يتخللُها ذاتَ اليمين وذاتَ الشمالِ فَيَرْوِيها و يُحْيِيها ، فاذا هي جناتٌ خضراء ، تؤتى أُكُلَها كل حين باذن ربها . ذلك تقديرُ العزيزالعليم (وفى الأرضِ قِطَعٌ متجاورات وجناتٌ من أعنابٍ ، وزرعٌ ونخيل ، صِنْوَانٌ وغير صنوان ، يسقى بماءٍ واحد ، ونفضل بعضَها على بعضٍ فى الأكل ، إن فى ذلك لآياتٍ لقوم يعقلون) يا عباد الله هذه نعمةٌ محرومٌ منها كثيرٌ من أمم الأرضِ وشعوبها ، فترى بلادَهم جبالا جرداء ، وصحارىَ جدباء ، لا زرع فيها ولا ماء ، فالحمد للهِ الذى أسكننا هذه الديار ، وفضلنا بها على كثيرٍ من خلقِه تفضيلا ، أسكننا الله هذه الديارَ الطيبة ، لنستنبت

فيها أرزاقنا وأقواتنا ، ونستخرج منها ثروتنا وأموالنا ، فالحبوبُ طعام ، والاشجار فاكهة ، والقطن ثروةٌ ومال ، نجمعه لننفقَ منه فى شؤوننا ، وَنقضِيَ به من ديوننا ونوسِّعَ على أنفسنا . لذلك كان واجبا علينا نحن المصريين أن نعتنيَ بشؤونِ الزراعة ، وأن نتعهدَها بالاصلاح ، والمحافظةِ عليها من كلِّ ما يضرُّها ويؤذيها ، وإن من أهمِّ ما نجبُ العنايةُ به زراعةَ القطن ، وحمايتَه من هذه الدودة التى تَفْتِكُ به كلَّ سنةٍ فى مثل هذا الاوان ، لاتتهاونوا فى أمرِ هذه الدودة الصغيرةِ ، فهى أعدى عدو لنا ، يجب علينا محاربتُه واستئصاله إبادة وتقتيلا ، يأيها الزارعُ الكريم أنت رجلُ الامة وعمدتُها فى دفعِ هذه البلية ، إن القطنَ هو ثروةُ البلاد وعُدَّتُها ، ويُسرُها ورخاؤها ، وقد جعلك الله أمينا على هذه الثروة العظيمة ، وكلفك المحافظةَ عليها من هذه الدودةِ المهلكة ، فان أنتَ قمتَ بهذا الواجبِ فقد أحسنتَ إلى نفسك وإلى البلاد وآتاك الله ثوابَ الدنيا وحسنَ ثوابِ الآخرة ، وإن أنت كسِلتَ وتوانيْتَ وقَصَّرتَ ، فقد أشقيتَ نفسَك وأشقيتَ البلادَ معك ، وقصرتَ فيما فيه خيرُكم أجمعين ، ياصاحبَ الزراعة إن سِعْرَ القطنِ غيرُ مأمون ، فاحذر أن تجمعَ على نفسِك ضررين ، هبوطَ السعر وقلةَ المحصول ، كن قويا نشيطا فى هذا العمل ولا تَضْعُفْ فقد قال رسول الله ﷺ « المؤمن القوىُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كلٍّ خير ، احرِص على ماينفعُك واستعنْ بالله ولا تعجز » ومعنى هذا الحديث الكريم ، أن المؤمنَ المجتهدَ فى عمله ، أحبُّ إلى الله من غيرِه ، وأنه يجبُ على الانسان أن يكون حريصا على تحصيلِ ما ينفعه في دينه ودنياه ، مستعينا بربِّه ومالِك أمره وأن يَحْذَرَ العجزَ والكسل ، والقعود عن العمل ، وقد يظنُّ بعضُ الناس أن الزهدَ فى الدنيا يقتضى إهمال الأمور تجرى كيفما اتفق ، ويظنُّ أن هذا تسليمٌ للقضاءِ والقدر ، وهذا خطأ شنيع ، وجهلٌ قبيح ، فقد قال رسول الله ﷺ « ليست الزهادة فى الدنيا بتحريمِ الحلال ، واضاعةِ المال » واعلم أن التعلق بالقضاءِ والقدر إنما يكونُ فى الشجاعةِ والاقدام على

العمل ، لافى العجزِ والضعفِ والكسل ، يأيها الزارعُ الكريم ، إن البلادَ الآن فى عسرٍ شديد ، وضيقٍ عظيم ، وهى تنتظرُ الفرجَ من هذا الضيقِ فى موسم القطن القادم ، وترجو أن يجىء محصولُه سليما من الآفات والعاهات ، وقد جعل الله ذلك الأمرَ إليك ، فاتق الله فى نفسِك ، وأمتِك ووطنِك ، واعمل بنصح يشكر الله لك عملَك ، والله خير الشاكرين

(الحديث) قال رسول الله ﷺ « الدين النصيحة ، قلنا لمن يا رسول الله ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (١)

٣٤

فى النهى عن شهادة الزور

الحمد لله العليم الخبير ، السميع البصير ، خالقِ الخلقِ فريقٌ فى الجنة وفريقٌ فى السعير ، أشهد أن لاإله إلا هو أحكمُ الحاكمين ، وأشهد أن سيدَنا محمدا رسولُه المرسلُ رحمة للعالمين ، اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين كانوا يستمعون القول فيتبعون أحسنَه ، وكانوا لايشهدون الزور وإذا مرُّوا باللغو مرُّوا كراما ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين (ولا تقْفُ مالبس لكَ به علمٌ إنَّ السمعَ والبصر والفؤادَ كل أولئكَ كان عنه مسؤولا)

عباد الله ـ إن الله اختار لكم الاسلامَ دينا ، وضمن لكم السعادَة ان امتثلتم أوامرَه ، واجتنبتم مانهاكم عنه ، فما للمسلمين الآن ذلوا وقد عزَّ غيرُهم ، ضعفُوا وقد قَوِى سواهم ، ماذاك إلالأنهم ماأحرزوا من الاسلام إلااسمَه ، ورفضوا جميعَ آدابه ، وابتعدوا عن كل خير أمرهم به ، وليتهم بعد هذا الخزى المبين عاشوا على فِطرتِهم التى فطرهم الله عليها ، بل عَمَدوا إلى محارمِ الله فاستباحوا حماها ، ومعاصيَه فأخذوا فيها كلَّ مأخذ

(١) الحديث أخرجه مسلم والترمذى عن تميم الدارى

وأن أبغضَ العصاةِ المذنبين إلى الله شاهدُ الزور

شاهد الزور مصيبةٌ على العالَم أجمع . شاهد الزور لا يدرى إلى مَنْ أساء بشهادته . أساء إلى نفسِه ، فقدباع آخرته بدنيا غيره . أساء إلى من شهد له ، فقد أعانه على الظلم ، وأوقعه فى الاثم ، وأحجله يَومَ الفزع الاكبر ، بين يدى جبار لا يرحم من ظلم عباده ، ولا يغفر لمن أساء إلى خلقه

أساء إلى من شهِد عليه ، فقد أضاع حقَّه وخذله وقت حاجته إلى الناصر المعين

أساء إلى القاضى ، فقد أضلَّه عن طريقِ الهدى ، وطَمَسَ عليه معالمَ الحق ، ولولا شهادة هذا الاثيم لكان من المهتدين

أكبرُ من ذلك كلِّه أنه أساء إلى محمد ﷺ ، فقد خالف أمرَه ، ورفضَ هديه ، واتبع هواه ، فخسِر الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين

لست أدرى ما الذى يدعو شاهدَ الزورِ إلى شهادتِه ؟ إن كان ما يأخذُه من المال ، فقد خسر من يبيعُ جنةً عرضُها السمواتُ والأرضُ بدراهمَ لا تُغْنِى من فقر ، ولا تُشْبِعُ من جوع ، وإن كان صداقةَ لمن شهد له ، فقد جلب عليه الخزي والعار فى يومٍ لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون ، وإن كان الخوفَ ممن شهد له ، فليعلمْ أن مايصيبهُ من الضرر فى الدنيا إذا صدق فى شهادته لا يقاس بِعُشْر ما يُصيبهُ من العذاب فى الآخرة إذا هو شهد شهادة الزور

فاتقوا الله واجتنبوا قول الزور ، وأدُّوا الشهادة كما رأيتم وسمعتم « ولا تكتموا الشهادة ، ومن يكتمْها فانه آثمٌ قلبه »

الحديث — قال رسول الله ﷺ ألا أنبئكم بأكبرِ الكبائر . الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، ثم جلس وكان متكئا فاعتدل وقال : ألا وقولُ الزور ، ألا وقولُ الزور ، ألا وقولُ الزور (صدق رسول الله) (١)

(١) الحديث رواه البخارى ومسلم والترمذى عن أبى بكرة

٣٥

فى التحذير من الكوكايين

الحمد لله الحكم العدلِ ، لا يظلمُ الناسَ مثقالَ ذرة . سبحانه كتبَ الرحمةَ لمن اتقاه ، وأعدّ الشقاء لمن عصَى أمرَه ، وأحلّ الطيبات وحرّم الخبائث ، وحذّر عبادَه سبيلَ الفساد

أشهد أن لا إله إلا هو دعانا إلى الصراطِ المستقيم ، وأشهدُ أن سيدنا محمدا رسولُه جاء بالهدى ودينِ الحق المبين ، صلى الله على محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه

« أما بعدُ » فيا عباد الله : أسبغ الله عليكم نِعَمَه ظاهرةً وباطنة ، وأمركم أن تسلكوا بنعمِه طريقَ الخيرِ للدنيا والآخرة ، ولكنكم جحدتم نعمَه ، وخالفتم أمرَه ، واجتنبتم طريقَ الهدى والرشاد ، عصَيتم داعىَ الله وأجبتم داعىَ الأهواء ، فقادكم إلى هاويةِ الهلاك وشرّ الادواء . وهاقد فشا بينكم سُمٌّ قاتل ، وداء عُضَال ، يفتِك بالاجسام ، ويذهبُ بالعقول ، ويُبَدِّدُ الأموال ، ويقضى على الأبصار وإن لم نتدارك الأمرَ عَمَّتْ بليتهُ ، واشتدت خطوبُه ، وحقت علينا كلمةُ الدَّمار

هذا الكوكايين أول أعراضه انحلالُ الجسم ، وانحطاط العقل ، وشرُّ مصائبه الأرقُ بالليل ، والهمّ بالنهار . وعاقبة أمرِه الجنونُ أو الانتحار

هذا السمُّ القاتلُ يُضْعِفُ العزيمة ، ويسوقُ إلى الجريمة ، ويجعل على العينِ غِشاوة ، ويسلبُ المرءَ كلَّ إرادة ، فتستولى عليه الأوهام والخيالات ، وينحدر إلى هاويةِ الموبقات ، ويصبح عالةً على غيرِه ، عاجزا عن السعىِ فى طلبِ رزقِه ، ضيقةَ الدنيا فى وجهِه ، والسجن بعدذلك مقرُّه ومثواه

كم غنيٍّ أذهب هذا السمُّ غناه ، وكم قويٍّ هدّ من قواه ، وكم عاقل أصبح مجنونا ، وعاملٍ بات عاطلا ، وكم أحزن أبوين ويتّم أولادا ، وهذه السجون مملوءةٌ بضحاياه ، والمستشفياتُ مُكْتَظَّةٌ بصَرْعاه « وإذا أراد الله بقومٍ سوءا فلامردَّ له ، وما لهم من دونه من وال »

يا عبادَ الله : تعاونوا على حسمِ هذا الداءِ الفتّاك ، وتناهوا عن هذا المنكرِ الشنيع ، فان الفتنةَ لا تصيب الذين ظلموا خاصة . وإنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا لايتناهَوْن عن منكرٍ فعلوه ، فلا يسكت أحدُكم على متناولِه ، ولايسترُ واحدٌ منكم على بائعه ، ولا تأخذْكم بهما رأفةٌ في دين الله ، واعلموا أن من اتجر بالحرامِ فعاقبتُه البوار ، ومن ربحَ من الاضرارِ بالناس فآخرتُه الخسران . ومن سترعلى آثم كان شريكَه في إثمِه ، والدينُ النصيحة ، وقدأحلّ الله لكم الطيبات ، وحَسْبُ المسلم ما أحله الله

فاتقوا الله ولا تتعدَّوْا حدودَه ، ولاتتبدلوا الخبيثَ بالطيب « ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكةِ ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين »

الحديث : روى مسلم عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيبا وان الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال « يا أيها الرُّسُلُ كلوا من الطيبات واعملوا صالحا » وقال « يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيباتِ ما رزقناكم » ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ، ومطعمُه حرام ، ومشربُه حرام ، وملبسُه حرام ، وغُذِّيَ بالحرام ، فأنّى يستجاب له » صدق رسول الله